

أحمد الشيخ محمد الباليسانى



دخل الجنة

أحمد الشيخ محمد الباليساني

مطبعة شفيق ـ بغداد هاتف ٤١٦٨٨٣٢
١٩٨٨

بســم الله الرحــمن الرّحــيم

الحمد لله الهادى الى توحيده والآمر بعبادته ، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسوله المرشد الى الايمان به ، والــداعي الى أفراده تعالى في ربوبيته والوهيته ، وعلى آلــه وأصــحابه وأمته المتبعــين لهديه ونهجه ٠٠٠ اما بعــد : فلقد كلــفت ضمن ماكلف به طــلبة الدراسات العليا بكتابة بحث من قبل الاستاذ الفاضــل الدكتــور قحطان عبدالرحمن الدورى ، فصار من نصيبى موضوع (من قال لا اله الا الله دخــل الجنــة) اختاره لى الاســتاذ نفســه لانى كنت محتارا في الاختيار ، فاســترشدت باستاذى البــار ، فمــا أن نطق حضرته باسم هذا البحث الا ووقع في قلبى ، وأحســست انى قــد هديت لمطلبى ، لما للكلمة (لا الــه الا الله محمد رسول الله) مــن وقع في النفوس المؤمنة ولذة على اللسن المسلمة تخشع لها الابدان وتخضع لها الاعيان من الانس والجان ٠٠٠ فاستعنت بالله العليــم العلام رغم مالدى من قلة العلم والكلام وبدأت بكتابة بحثى الجديد فانتهيت منه بحجم متواضع ومجهود زهيد ، وعرضــته على والــدى الكريم الذى بالحقيقة ربانى وهو الشيخ محمد الباليسانى فارشدنى الى أن أنشره ، عسى أن يستفيد منه مــن يقــرؤه ٠٠٠ فاعتبرت ارشاده امرا فلم استطع ان اميل عنه يمينا أو يسارا ، فأرجــو أن يحظى بمقام القبول والرضاء لدى القراء الكرام الاسخياء ٠٠٠

واسأل الله االتوفيق والجنان ، ويغفرلى انه رحمان ٠٠٠ وانى اشهد أن لا اله الا هــو الملــك الديان ومحمــدا رسوله في الانــس والجان ٠٠٠

احمد الباليســانى

تمهيد

لا اله الا الله كلمة التوحيد[1] اى الكلمة التى تقرر وحدانية الله تعالى فى الذات والصفات والربوبية والالوهية ... انها كلمة عظيمة ، لذلك اوجب الله تعالى العلم بها بقوله (فاعلم أنه لا اله الا هو)[2] فهى على قدر من العظمة والاهمية بحيث يشهد بها الله تعالى نفسه والملكئة واولوا العلم الذين يعرفون حقيقة معناها وعملوا بها ، قال تعالى : (شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة وأولو العلم قائما بالقسط)[3] وهى من أفضل الكلام لما ورد فى الحديث (افضل الكلام لا اله الا الله)[4] وهى افضل الاذكار لما روى عن جابر (رضى الله عنه) يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أفضل الذكر لا اله الا الله)[5] بل ان لا اله الا الله ذكر ودعاء يجتمع فيه الامران ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام : يارب علمنى شيئا اذكرك وادعوك به ، قال قل ياموسى لا اله الا الله ، قال يارب كل عبادك يقولون هذا ! ـ اى علمنى شيئا يجتمع لى فيه الامران اثنى عليك واحمدك واسألك به ـ قال قل ياموسى لا اله الا الله ، أى اذا قلتها فقد دعوتنى واثنيت علي ، فان الدعاء نوعان

---

(١) انظر مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢ لعلي بن محمد الحنفى ـ الطبعة الاولى ١٣٧١هـ دار النذير بغداد ـ

(٢) سورة محمد الآية ـ ١٩ ـ

(٣) سورة آل عمران الآية ـ ١٨ ـ

(٤) رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء/انظر طبقات الشافعية لعبدالوهاب السبكى جـ١ .

(٥) رواه الترمذى عن جابر وقال حديث حسن .

دعاء عبادة ودعاء مسألة ، دعاء العبادة نحو (لا اله الا الله وسبحان الله) وهو مستلزم لدعاء المسألة ودعاء المسألة نحو (رب اغفر لى) وهو متضمن لدعاء العبادة وذلك أنه مأمور به فاذا فعله فهو فاعل عبادة ، ولا اله الا اللــه اشــتملت على الامــرين بل على أعلاهــما وأولاهما ، وهى اكثر الاذكار وجودا وأيسرها حصــولا فان احرفها كلها جوفية ليس فيها حرف شفوى ، فيمكن لقائلها ان يقولها من غير فتح فمه وهو اسـلم وابعد عن الــرياء ، وفى كونها جــوفية ايضا اشارة الى انها تخرج من القلب ، واحرفها كلــها مهملة فتنبىء عن التجرد من معبود سوى الله ، وهى افضل الاذكار واعظمها معنى(٦) ٠

كيف لا وهى مفتاح الجنة التى تفتح باب الجنــة لمن آمن بــها كما ورد عن الرسول صلىاللهعليهوسلم فى حديث طــويل : (٠٠٠ ورأيت رجلا من امتى انتهى الى ابــواب الجنة كلــما انتهى الى باب غلق دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله مخلصــا بها قلبه ففتحت له الابواب وأدخل الجنة)(٧) ولعل هذا هو تفسير قــوله صــلى اللهعليهوسلم (من شهد ان لا اله الا الله دخل الجنة)(٨) ٠٠٠

هذه الكلمة نقطة تحول الكافر من حالة الكفر الىحالة الايمان، بها يؤمن من قالها فى الاســلام على دمه وماله لمــا ورد عن الرسول صلىاللهعليهوسلم انه قال : (امرت ان اقاتل الناس حتى يقــولوا

---

(٦) كتاب التوحيد لمحمــد بن عبــدالوهاب بشرح عبدالــرحمن العاصمى النجدى ط١ ١٩١٦هـ المطابع الاهلية الرياض ٠

(٧) رواه الامام عبدالوهاب السبكى فى طبقات الشافعية الكبرى جـ١ يسنده عن عبدالرحمن بن سمرة القريشى ضمن حديث طويل ٠

(٨) رواه السبكى فى نفس المصدر بسنده عن انس بن مالك ٠

لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني مالة ونفسة الا بحقه وحسابه على الله)[٩] ذلك لانها تدل من قائلها على الرضا والقبول بالاسلام الذى امر الله تعالى به وارتضاه دينا يقبله ممن تدين به فتجرى عليه الاحكام الدنيوية ظاهرا فيعتبر مسلما له ما للمسلمين وعليه ماعليهم ...

اما باطنه فهو أمر موكول به الى الله عزوجل ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآنف الذكر وحسابه على الله لانه لايعلم السرائر الا الله تعالى .

واذا وافقت الظواهر السرائر كان (لا اله ألا الله) خارجا من قائلها مخرجا حقا وصدقا يستحق به رحمة الله تعالى بان يدخله الجنة ان شاء ، ومن هنا جاء الحديث ـ والله اعلم ـ (من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة)[١٠] فاختلف العلماء فى المقصود به واطراده سنذكر اقوالهم فيما بعد فى الفصل الثانى ان شاء الله تعالى بعد ان نذكر معنى كلمة التوحيد ومدلولها واراء العلماء فى فى مصطلح الايمان لما لذلك من علاقة قوية بهذا الموضوع خصصنا له الفصل الاول ـ وبالله التوفيق ـ

---

(٩) رواه مسلم .
(١٠) رواه الطبرانى عن معاذ/السبكى فى طبقاته .

الفصـــل الاول

(لا اله الا الله) والتوحيد والايمان والاسلام

المبحث الاول

معنى (لا اله الا اللــه)

سميت كلمة التوحيد[11] لانــها تثبت وحدانية اللــه تعــالى بصيغته الدالة على ذلك باعتبار النفى والاثبات المقتضى المحصــر ، فهى تنفى بقول (لا اله) وجود الآلهة الخيالية التى كانت فى تصور المشركين ، أو تنفى وجود آلهة متعددة بدلالة كلمة (اله) التى جيء بها بصيغة النفى لجنس الالهة المتعــددة ، لان لا نافيــة المجنــس ، والاله اسمه أتى به مفردا للاستغراق ، أى لاستغراق النفى لجميع افراد جنس الالهة المتعددة للتوصل الى اثبات الالــه الواحد بقــوله (الا الله) •وخبر لامحذوف تقديره (موجود) أى : لا اله موجود • (الا الله) الا : اداة حصر يثبت مابعده بحصر الحكم عليه فحصر صفة الوجود على اله واحد وهو الله تعالى[12] و (الله) اسم علم للــه عزوجل المستجمع لجميع صفات الكمال •

---

(11) انظر مختصر العقيدة الطحاوية ص٢٢ ط١٣٧١هـ ، دار النذير ـ بغداد •

(12) معنى لا اله الا الله للامام بـدرالدين محمـدبن عبداللــه الزركشـى ت ٧٩٤هـ تحقيـق وتعليـق علي مـجىالدين القرداغى •

فالمعنى أنه : لامستحق للعبادة غير الله تعالى(١٣) ، أولا معبود بحق الا الله(١٤) .

فبهذا تتحقق وحدانية الله تعالى ، والوحدانية تعنى الاحدية ، أى ان الله تعالى ليس واحدا بين الآحاد وانما هو ذات فرد ، لذلك عبر الله تعالى بقوله (أحد) فى سورة الاخلاص حيث قال : (قل هو الله أحد) ولم يقل قل هو الله واحد لان الواحد يكون باعتبار مابعده من الارقام فيحصل التعدد(١٥) أما احد فيعنى انه هو الاله الموجود المنفرد الحق لاغيره ، فينتفى بذلك وجود مايسميه المشركون الآلهة المتعددة .

وتوحيد الله تعالى يكون فى الذات وفى الصفات(١٦) ...

اما توحيده فى الذات وهو عدم تعدد الاله المسمى (الله) أى عدم وجود ذوات غير الله تعالى خالقا وموجدا ، وهذا ماسمى بتوحيد الربوبية(١٧) .

وأما توحيده فى الصفات وهو عدم وجود مؤثر غير الله تعالى اى لايشترك معه أحد فى صفاته وأفعاله ومقتضاهما حتى يؤثر ، ومن ثم لايملك النفع والضر غيره وان الثواب والعقاب بيده وحده فيقتضى ان لايعبد غيره سواء بالدعاء أو بالالتجاء أو بالخضوع والطاعة وسمى هذا بتوحيد الالوهية .

---

(١٣) حاشية كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب بشرح عبدالرحمن بن محمد العاصمى النجدى ١٣١٢هـ ـ ١٣٩٢هـ ط١٠ ، المطابع الاهلية ـ الرياض .

(١٤) شرح الاربعين النووية للعلامة التفتازانى .

(١٥) نفس المصدر .

(١٦، ١٧) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص١٢ ، ١٧ مايفهم هذا .

ولقد قسم البعض الوحدانية الى وحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الافعال[18] ، واخرون الى توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات[19] ٠

لكن الملاحظ (كما قررنا) ان أنواع التوحيد كلها تندرج تحت نوعي توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية اللذين يتضمنان توحيد الله تعالى في الذات بأن لا خالق غيره ولا هو يتعدد او يتجزء في نفسه،وتوحيده تعالى في الصفات والافعال الذى يعنى بان لايشاركه أحد في أفعاله وصفاته فلا مؤثر غيره فيوجب الالتجاء اليه فقط بالطاعة والعبادة وهذا ماسمي بتوحيده في القصد والطلب أيضاً[20] ٠

---

(18) العقائد الاسلامية للصف الرابع الاعدادى الاسلامى ـ الالهيات الطبعة الثانية ١٩٨١م تاليف لجنة في وزارة التربية ٠

(19) مجموعة التوحيد للشيخ عبدالرحمن حسن عبدالوهاب ـ مطبعة المنار ـ باشراف السيد محمد رشيد رضا ٠

(20) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص١٧ و ١٨ ٠

المبحث الثاني

(توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية)

ان توحيد الربوبية التى تعنى عدم تعدد الخالق(٢١) وان الله تعالى خالق كل شيء اقرته جميع الامم والشعوب من بنى آدم لان القلوب مفطورة على الاقرار بالخالق العظيم الذى خلق كل شيء وبيده كل شيء كما قالت الرسل فيما حكى الله تعالى عنهم (قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض) (سورة ابراهيم الآية -١٠-) ٠

وكذلك المشركون العرب كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون) ، المؤمنون - ١٤ - ، الا انهم كانوا يعبدون الاصنام ظنا منهم أنها مؤثرة فى دفع الشر وجلب الخير فعبدوها فجعلوها واسطة بينهم وبين الله فكانوا يقولون كما اخبر القرآن عنهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر -٣- ٠ ويذكر ابن عباس (رضىاللهعنه) ان هذه اسماء قوم صالحين قبل قوم نوح فلما ماتوا عكف الناس على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الامد فعبدوهم وأن هذه الاصنام بعينها صارت الى قبائل العرب(٢٢) ٠ فانكر القرآن الكريم عليهم ذلك ودعاهم الى توحيد الالوهية وهو افراده تعالى بالعبادة والطاعة وطلب الدعاء منه والالتجاء اليه فقط ٠ - وهذا هو الذى لم يقره

---

(٢١) نفس المصدر ٠

(٢٢) انظر مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص١٤ ٠

المشركون ـ فقال تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) الجن ـ١٨ـ وكذلك قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنـا فاعبدون) ، الانبيـاء ـ٢١ـ ٠ واحتج الله على المشركين بتوحيد الربوبية على توحيده فى الالوهية لان الاول مستلزم للثانى ، فمن أقر بان الله تعالى خالق لم يشاركه احد فى الخلق ومايتضمن ذلك من صـفات الـربوبية يلـزمه هذا الايمان ويحتم عليه الايمان بألوهية الله تعالى اى عبادته وحده فقـال تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين مـن قبلكم لعلكم تتقون) البقرة ـ٢١ـ فقوله تعالى (الذى خـلقكم) مقدمة بنى عليها الامر بالعبادة مما يشير الى ان المشـركين كانوا مسـلمين بتلك المقدمة فبنى الله عزوجل عليها أمرهم بعبادته وحده كما انهم مقرون بان لاخالق غيره فكانت النتيجة ملـزمة لهم ٠ وكذلك قـوله تعالى : (قل من يرزقكم من السـماء والارض أمن يـملك السـمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخـرج الميت من الحـى ومن يدبر الامر فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون ؟) يونس ـ٣١ـ ٠

اذن فمن أقر بربوبية الله تعالى يـجب عليه الاقـرار بالوهيته بقوله (لا اله الا الله) فاذا تم له ذلك وجبت عليه الطاعة والعبادة لله تعالى فى كل ما أمر به ، ومن الاطاعة الايمـان برسوله محمـد (صلى‌الله‌عليه‌وسلم) فيكمل الشطر الثانى من الشهادة وهو (محمد رسول الله) الذى يستلزم الايمان بكل ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ وهذا يعنى ان كلمة الشهادة وحـدها لا تنفع أذا لم يترتب عليها السلوك الاسلامى من الطاعات وغيرها ٠ فتكون كلمة الشهادة شاملة لجميع انواع التوحيد بل لجميع ما جاء فى الاسلام ،

وهذا هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم : [(من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاصها ان تحجزه عما حرم الله .)](٢٣) .

المبحث الثالث

دلالة (لا اله الا الله)

تدل هذه الكلمة من قائلها على الايمان بمضمونها اى بما تدل عليه شهادة (ان لا اله الا الله ومحمد رسول الله) ومن ثم الرضا والقبول بكل ماتندرج تحت هذه الكلمة من معان واعمال ، يدل عليها سياق كلمة الشهادة ...

ولكن العلماء اختلفوا فى هل أن الايمان الذى علامته قول هذه الكلمة له شمولية كشمولية دلالة هذه الكلمة أولا - أى هل ان الايمان قول فقط ، أم قول وتصديق ، أم انه قول وتصديق وعمل، نذكر بعضا من آرائهم لنتوصل الى مدى مايدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ... وما فى معناه من الاحاديث الاخرى .

---

(٢٣) رواه االطبرين عن زيد بن آرقم/انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ١ ص٥٨ .

أولا : (الايمان هو التلفظ بكلمة الشهادة)

ان الايمان هو التلفظ بكلمة الشهادة فقط وهـو قول الكرامية بدليل ان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين كانوا يقنعون بالكلمتين ممن أتى بهما ولا يستفسرون عن عمله وتصديقه القلبي فيحكمون بايمانه بمجرد قول الكلمتين (٢٤) ...

ورد هذا القول بمعارضته للاجماع ، وأن المنافق كافر مع اقراره باللسان وتلفظه بالشهادتين وكذلك بقوله تعالى : (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) ، الحجرات الآية ـ ١٤ ـ

اما قبول الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام التلفظ بالشهادتين من قائلها لان التلفظ بها يسمى ايمانا لغة ، ويترتب عليه احكام الايمان ظاهرا لان الشارع جعل مناط الاحكام الامور الظاهرة المنضبطة والتصديق القلبي أمر خفي لا يطلع عليه بخلاف الاقرار باللسان فانه مكشوف بلا سترة فيناط به الاحكام الدنيوية (٢٥)، ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل أسامة من قال لا اله الا الله ظنا منه أنه قالها خوفا هلا شققت عن قلبه .

وقيل ان الايمان بالله تعالى هو معرفته بالقلب فقط أو العلم به لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال : (من علم ان لا

---

(٢٤) شرح المواقف للقاضي عضدالدين والملة الايجي جـ٣ ـ الالهيات ـ طبعة ١٣١١هـ ـ دار مطبعة عامرة عثمان . وشرح المقاصد لسعد بن التفتازاني ـ طبعة عثمانية قديمة غير مؤرخة . جـ٢ .

(٢٥) انظر شرح المواقف جـ٣ مطبعة عامره عثمان ١٣١١هـ قره حصاري ص٢٤٨

اله الا الله دخل الجنة)[٢٦] ورد هذا المذهب بانه لوكان الايمان كذلك لكان فرعون وقومه مؤمنين لانهم كانوا يعرفون صدق موسى كما جاء في قوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) ـ النمل ـ ١٤ ـ وكذلك أهل الكتاب كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم كما جاء في قوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) البقرة ـ٤٦ـ فدلت هذه الآية أن العلم والمعرفة بالله لايعتبران ايمانا ان لم يظهر ذلك باقرار على اللسان ـ و كذلك ابليس فانه لم يجهل ربه بل كان عارفا به وعالما الا أنه لم يقر بعدل الله وعلمه اعتبر كافرا بجحوده وعدم تصديقه[٢٧] ٠

ثانيا : (التصديق بالقلب والاقرار باللسان)

الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان وعبر احيانا عن التصديق بالمعرفة[٢٩] كمترادفين ٠ وهو مذهب الاشعرية وبعض المعتزلة واكثر المحققين من العلماء[٣٠] ومنهم أبو حنيفة رضى الله

---

(٢٦) رواه مسلم عن حمران والنسائي عن عبدة والسبكي عن عثمان/انظر طبقات الشافعية الكبرى لعبدالوهاب السبكى جـ١

(٢٧) أنظر شرح المواقف جـ٣ وطبقات الشافعية للسبكى جـ١ ٠

(٢٨) نفس المصدرين ٠

(٢٩) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ١ ص٩٧ وشرح المقاصد جـ٢ ص٢٤٧ ٠

(٣٠) شرح المقاصد للعلامة عمر التفتازانى جـ٢ ص٢٤٧ ٠

عنه . ويعنون بالتصديق تصديق الرسـول صلىاللهعليهوسلم فيما علم مجيئه به ضـرورة وتفصيـلا فيما علم تفصيـلا واجمالا فيما علم اجمالا[٣١] ... و دليلهم الآيات والاحاديث الـدالة على محلية القلب للايمان كقوله تعالى :ــ (اولئك كتب فى قلـوبهم الايمان) المجادلة ــ٢٢ــ وقوله تعالى : (ولما يدخل الايـمان فى قلـوبهم) الحجرات ــ ١٤ ــ وقوله تعالى : (وقلبه مطمئن بالايمـان) النحل ــ١٠٦ــ وكذلك دعاء الرسـول صلىاللهعليهوسلم : (اللهم ثبـت قلبى على الايمان) وكذلك قوله صلىاللهعليهوسلم لاسـامة (هـلا شققت عن قلبه) .

ثالثا : (الايمان هو الطـاعات)

الايمان هو الطاعات المفـروضة ، اى فعـل الواجبـات وترك المنكرات وهو مذهب الخوارج[٣٢] ودليلهم فى ذلك ان الطاعات هو الدين والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان ففعل الواجبات هـو الايمان ، أما ان فعل الواجبات هو الـدين فلقوله تعالى بـعد ذكر العبادة واقام الصلاة وايتاء الزكاة (وذلك دين القيمـة) فى قوله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ، البينـة ــ٥ــ واما ان الدين هو الاسلام لقوله تعالى (ان الـدين عند اللـه الاسـلام) آل عمران ــ ١٩ ــ واما ان الاسلام هو الايمان فلقوله تعالى ومن يبتغ

---

(٣١) شرح المواقف جـ٣ ص٢٤٦ طبعة عامرة حصارى ١٣١١هـ.
(٣٢) شرح المواقف جـ٣ ص٢٤٧ .

غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) آل عمران ـ٨٥ـ فلو كان الايمان غير الاسلام لما قبل من مبتغيه(٣٣) ، ولذلك قالوا بكفر مرتكب الكبيرة وخلوده فى النار ، ورد على هؤلاء القائلين بان الايمان هو العمل معبرين عنه بالطاعات بان الايمان جاء مقرونا بالعمل الصالح فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم بواسطة واو العطف كقوله تعالى : (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) .

وقوله تعالى : (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) والواو يدل على المغايرة فدل على ان العمل غير الايمان وليس داخلا فيه لان الشىء لايعطف على نفسه ولا الجزء على كله ، فلو كان الايمان أعمالا أو بالعكس لقال الله تعالى بدخول الذين آمنوا الجنة دون عطف العمل الصالح عليه(٣٤)... وكذلك قرن الله تعالى الايمان بضد العمل الصالح فى قوله : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الحجرات ـ٩ـ وكذلك مفهوم قوله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) فانه يفيد اجتماع الايمان مع القتل المحرم فى الآية الاولى ومع الظلم فى الآية الثانية ، ومن المعلوم ان الشىء لايجتمع مع ضده ولامع ضد جزئه فثبت ان الايمان ليس عمل الجوارح ولامركبا منه كما ادعته الخوارج وبعض المعتزلة(٣٥) .

---

(٣٣) شرح المقاصد جـ٢ ص٢٥٥ .

(٣٤) نفس المصدر السابق .

(٣٥) مختصر العقيدة الطحاوية ص١٧٧ ، ١٨٨ ، وشرح المواقف ص٢٤٧ .

رابعا : (الايمان هو تصديق واقرار وعمل)

مذهب جمهور السلف من اهل الاثر وأصحاب المذاهب الاربعة الا أبا حنيفة (رضي‌الله‌عنه) أن الايمان هو التصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان ... الا أنهم لايجعلون الاعمال ركنا من الايمان كما يوحى به تعريفهم لكنهم يجعلونها اثرا للايمان ومكملا له(٣٦) .

ودليلهم على ذلك اقتران الايمان بالعمل فى معظم الآيات القرآنية كما مر والاحاديث الدالة على ذلك كحديث : (الايمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان)(٣٧) وحديث (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه)(٣٨) ورد على هذا المذهب بان المراد بالحديث الاول شعب الايمان لا الايمان نفسه ، اى ان الاعمال التى تتشعب عن الايمان وليس هى نفس الايمان . والمراد بالحديث الثانى ومايماثله من الاحاديث نفى كمال الايمان بالاعمال لانفى الايمان كله ...

وهناك اراء ضعيفة اخرى فى مدلول الايمان عدلنا عن ذكرها لعدم اهميتها لان بحثنا هذا لاينصب على هذا الموضوع الا ان ذكر ماورد يفيدنا فى الدخول الى كيفية تفسير قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم :

(٣٦) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ١ ص٩٨ .

(٣٧) رواه مسلم / وجاء فى التاج الجامع للاصول للشيخ منصور علي ناصف جـ١ باب الايمان انه رواه الخمسة عن ابى هريرة رضي‌الله‌عنه .

(٣٨) رواه الخمسة الا ابا داود / كذا فى التاج الجامع للاصول.

(من شهد ان لا اله الا اللـه دخل الجـنة) من حيث علاقته بهـذه التعاريف والمذاهب ...

ومن الجدير بالذكر أن جمهور السـلف واهـل الاثر وان هم ادخلوا عمل الاركان فى تعريف الايمان مايشبه ظاهره قـول الخوارج الا انهم لم يقولوا بكفر مرتكب الكبيرة بل حكموا بفسقه ان شاء الله غفر له وان شاء أدخله الجنة بعد العذاب ، فاشبه رأيهم رأى الاشعرية واكثر المحققين من العلماء(٣٩) ... فهم يكادون يتفقون مع الاشعرية بان الايمان تصديق واقرار وان الاعمال شيء خـارج عنه نابع منه فلا خلاف بينهم الا فى اللفظ .

ولذلك فالاصلح ـ على مايظهر لنا والله اعلم ـ الـدمج بين مذهبى الاشعرية والسـلف فيكون **الايمان هـو التصـديق بالجنان** والاقرار باللسان والاعمال أثر للايمان ومكملة له .

اما هو تصديق بالجنان فلأن الايمان عمل قلبى بدليل ماروى عن ابى ذر رضى‌الله‌عنه قال : قلت يارسول الله اى الاعمال افضل ؟ قال : الايمان بالله والجهاد فى سبيله) من حيث ان الرسول صلى الله‌عليه‌وسلم عد الايمان من الاعمال حين ساله أبو ذر رضى‌الله‌عنه عن افضل الاعمال ! . والعمل فى الاسلام لابد له من نية حتى يكون شرعيا لقوله صلى الله عليه وسلم : (انما الاعمـال بالنيـات وانما لكل امرىء مانوى ...)(٤٠) والمتفق عليه ان النية بالقلب ، فكان لابد من وجود حالة الايمان مستقرا فى القلب والذى يسمى التصديق

---

(٣٩) شرح المقاصد للتفتازانى ص٢٤٧ جـ٢ .

(٤٠) متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضى‌اللـه‌عنه . / انـظر الاذكار للامام النووى . ص٦ الطبعة الرابـعة ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

القلبى نظرا للآيات الدالة على محبة القلب للايمان كما مر ، وكذلك يشهد لهذا ماورد عن اسامة بن زيد رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال : لا اله الا الله ، فطعنته ، فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال لا اله الا الله وقتلته ؟) قال ، قلت نعم يارسول الله انما قالها خوفا من السلاح ، قال : (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها ام لا) فما زال يكررها علي حتى تمنيت أنى اسلمت يومئذ! ·(٤١)· فهذا الحديث أيضا يدل على ان مستقر الايمان هو فى القلب، وكذلك ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه فى حديث طويل ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعطاه نعليه وقال : (اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)(٤٢) فقد اضاف الرسول صلى الله عليه وسلم الى الشهادة باللسان قوله (مستيقنا بها قلبه) ، ولان الرسول صلى الله عليه وسلم عرف الايمان باصوله الستة وهو ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ، فلم يدخل عمل الجوارح كركن فى الايمان ، وان الآيات والاحاديث متعاضدة فى ترتيب العذاب على مرتكبى المنكرات من المؤمنين وغفرانه تعالى لمن يشاء وتعذيبه من يشاء · وكذلك العقوبات المقدرة من الحدود والقصاص وغير المقدرة كالعقوبات التعزيرية الموجودة فى الاسلام كلها وردت بشأن المؤمنين المخالفين لا الكفار ، مما يدل على ان

---

(٤١) متفق عليه ·

(٤٢) رواه مسلم ·

الايمان غير الاعمال فيكون الايمان تصديقا لابد من اظهاره باقرار اللسان لترتب الاحكام الدنوية عليه ··· وذلك الاظهار هو التلفظ بقول لا اله الا الله محمد رسول الله واعلانه وهذا هو ماسمى بالاقرار فانه بمثابة التوقيع على عقد يمضيه أو بصمة الاصابع على اعتراف يقره الانسان ، كى يجعل دليلا على ايمانه القلبى ، اذ كيف يعرف المؤمن اذا لم يظهر ذلك بلسانه اقرارا واعترافا · ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل شهادة ان لا اله الا الله ومحمد رسول الله من قائلها ويكتفى بذلك لمن كان يريد الانتماء الى ملة الاسلام حتى من المنافقين الذين كان صلى الله عليه وسلم يعرف كذبهم ونفاقهم باخبار الله تعالى له ، ذلك لان الامور الدنوية لاتنضبط الا ظاهرا · يقول صاحب شرح المواقف السيد شريف الجرجانى : [ولانزاع فى أنه — اى التصديق اللسانى — يسمى ايمانا لغة ، لدلالته على التصديق القلبى ، ولافى انه يترتب عليه فى الشرع أحكام الايمان ظاهرا ، فان الشارع جعل مناط الاحكام الامور الظاهرة المنضبطة والتصديق القلبى امر خفى لا يطلع عليه ، بخلاف الاقرار باللسان فانه مكشوف بلا سترة فيناط به الاحكام الدنوية](٤٣) ولذلك قبل الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين ظاهرهم وان كانوا كافرين باطنا آخذا بالظاهر فقال صلى الله عليه وسلم : (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى

---

(٤٣) انظر شرح المواقف لعضد الدين الايجى وشارمه السيد شريف الجرجانى جـ٣ ص٢٤٨ · والكلام الذى نقلته تضمن المتن والشرح معا ·

دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله(٤٤) فهم يضمنون دمهم ومالهم امام الدولة باظهار الايمان أما مافى القلب فأمر موكول به الى الله تعالى ، وهذا ماقصده الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم بقوله (وحسابهم على الله) أى فيما بينهم وبين الله تعالى ·

اما الاعمال فهى ثمرة الايمان ودليل عليه ، فان ايمان شخص بان خطرا مايداهمه فى مكان مايمنعه عن الدخول فيه ، وايماننا باخلاص شخص ووفاء صديق يدفعنا الى حبه ومصادقته · واذا صدقنا بان طعاما ماشهيا فيه سم لانأكله أو ان دواءا فيه شفاء لمرضنا نتناوله ونجهد أنفسنا فى طلبه ···

فالايمان اساس الاعمال ومحرك لها ، لذلك تكون الاعمال دليلا على الايمان وشرطا لصحته ··· فبقدر قوة الايمان يندفع الانسان الى الاعمال الصالحة ويبتعد عن المحرمات ، دليلنا فى هذا ان الله تعالى لم يذكر الايمان فى معظم الآيات القرآنية الا وذكر معه الاعمال الصالحة كقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا) ـ الكهف ـ ٣٠ ـ والآيات فى هذا كثيرة ··· وكذلك الاحاديث منها ماتقدم من قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم (امرت ان اقاتل الناس ··· الخ) فذكر الصلاة والزكاة وفى روايات آخرى الصيام والحج مع الايمان للدلالة على ان هذه الاعمال دليل صحة الايمان وامارة على وجوده ··· وكذلك اعتباره الاعمال متشعبة من الايمان بقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (الايمان بضع وسبعون شعبة ··· الخ) حتى ظنّ ان الاعمال ركن أو جزء من الايمان · وليس كذلك وانما هى متشعبة ونابعة منه

---

(٤٤) رواه الخمسة عن ابن عمر

حيث ان الايمان دافع للاعمال ومخرج لهـا . لذلك فـان من يقول لا اله الا الله من قلبه يكون على درجة من الايمان لايصـدر منه الا مايكون به اهلا لدخول الجنة فيشمله قول الرسول صلىاللهعليهوسلم: (من علم ان لا اله الا الله دخل الجنة)(٤٥) لان ايمـانه يدفعـه الى عمل مايستطيع من الاعمال الاسلامية فيكون متصفا بالاسـلام ويقال له مسلم مع كونه مؤمنا ، ومن هنا بدأ الكلام على الاسلام والايمان هل أنهما شيء واحد ام مختلفان ؟ . . . فمنهم منقال الاسلاموالايمان كلمتان مترادفان يقصد بكل منهما مايقصد بالاخر فكل مسلم مؤمن وكذلك العكس ، ومنهم من قال مختلفان متباينان وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا فنأتى الى بيانها فيما يأتى ان شاء الله تعالى .

(المبحث الرابـع)

(الايمان والاسـلام)

اختلف العلماء فى مسمى الايمان والاسلام على قولين رئيسين : اما القول الثالث الذى يقول بان الاسلام هو الكلمة كما هو الايمان وهو قول الكرّامية فهو قول مردود مخالف لاجماع المسلمـين المعتد بهم فلما كان قولهم الاول فى الايمان باطلا كما بيناه فى موضعه ، وقولهم هذا مبتنى على قولهم ذلك ، والمبنى على الباطل باطل فكان قولهم هذا باطلا أيضا ، ولذلك لانناقشه هنا بجانب الاقوال الاخرى ولولا الامانة العلمية لما احتجنا الى ذكره . اما القـولان الرئيسيان فهما :

(٤٥) رواه السبكى في طبقاته الكبرى بسنده عن عثمان بنعفان رضىالله عنه وقال رواه النسائى ومسلم . جـ١ ص٩٣ .

القــول الاول

ان الإيمان والاسلام مترادفان كل منهما يدل عــلى مايدل عليــه الآخر ، فقالوا بان الاسلام هو الانقياد وهــو يعنى قبــول الاحكام والاذعان وذلك حقيقة التصــديق ، واســتشهدوا بقــوله تعــالى : (فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غــير بيت مــن المسلمين) فاستثنى تعالى البيت المسلم من بيوت المؤمنين مما يدل على أنهما مترادفان بمعنى واحد(٤٦) . وجعــلوا الاعمال المــذكورة فى قوله صلىاللهعليهوسلم : (الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا(٤٧) جعلوها ثمرات الاسلام وعلاماته كما ورد عنه صلىاللهعليهوسلم : (اتدرون ما الايمان ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة ان لا الــه الا الله وان محــمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الــزكاة وصــيام رمضــان وان تعطوا من المغنم الخمس)(٤٨) فهى أيضا كذلك .

وردّ عليهم بان الله تعالى ميز بين الايمان والاســلام فى قوله تعالى (قالتالاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) الحجرات ـ١٤ـ و وان ما استدلوا به من قوله تعالى : (فما وجدنا فيها غير

---

(٤٦) شرح العقائد النسفية ص١٦٢ للامام عمربن محمد النسفى ٧٩٣هـ طبعة الاوفيست مكتبة المثنى ـ بغداد .

(٤٧) رواه الخمسة عن عمر بن الخطاب / انــظر تاج الاصــول لمنصور علي ناصف جـ١ ص٢٤ .

(٤٨) رواه الترمذى عن ابن عباس .

بيت من المسلمين) أن هذا البيت كانوا متصفين بالاسلام والايمان معا فصح اطلاق الصفتين عليهم[٤٩] .

(القــول الثاني)

الايمان هو ما اجاب عنه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم من أنه هو ان تؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره مــن الله تعالى ، والاسلام هــو ايضا فسره الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم بانه هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محــمدا رســول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان أستطعت اليه سبيلا ، وهى الاركان الخمسة المعروفة[٥٠] .

فاذا دققنا النظر فى كلا الرأيين نرى ان الخلاف لفظى حيث لم يقصد القائلون بانهما مترادفان بانهما متحدان يدلان على شيء واحد ولا الذين قالوا بتغايرهما ان من كان مســلما لايكــون مؤمــنا أو بالعكس .

انظر ماجاء فى شرح العقائد النسفية قوله : (وبالجملة لايصح فى الشرع أن يحكم على احد بانه مؤمن وليس بمسلم أو مسلم وليس بمؤمن ، ولانعنى بوحدتهما سوى هذا ، فظــاهر كلام المشايخ أنهم ارادوا عدم تغايرهما بمعنى لاينفك احدهما عن الآخــر لا الاتحاد بحسب المفهوم لما ذكر فى الكفاية من ان الايــمان هو تصــديق الله تعالى فيما أخبر من اوامره ونواهيه ، والاسلام هو الانقياد والخضوع لالوهيته ، وهذا لا يتحقق الا بقبول الامر والنهى)[٥١] .

---

(٤٩) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٠ .
(٥٠) نفس المصدر .
(٥١) شرح العقائد النسفية للتقتازانى ص١٦٠

وهذا الخلاف اللفظي ينتج من ورود لفظي الايمان والاسلام معا احيانا وكل على انفراد أحيانا أخر · جاء في شرح العقيدة الطحاوية قوله : لفظ الايمان اما يورد مطلقا او معطوفا ، والمعطوف يكون بين متباينين ليس بينهما تلازم كتوله تعالى : (خلق السموات والارض) او بينهما تلازم كقوله تعالى : (أطيعوا الله واطيعوا الرسول) أو بين الشيء وعطف بعضه عليه كقوله تعالى : (حافظوا على الصلواة والصلاة الوسطى) وهذا النوع اما أن يكون ألبعض داخلا فيه فيكون مذكورا مرتين أو عطفه عليه يقتضي انه ليس داخلا فيه وان كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ الفقراء والمساكين ونحوهما تتغير دلالته بالافراد والاقتران · وعطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين كقوله تعالى : (غافر الذنب وقابل التوب)(٥٢) · فلفظ الايمان والاسلام اذا ذكرا معا معطوفين يقصد بكل منهما غير الآخر ، فيكون الاسلام هو الانقياد والاستسلام الذين يولدان ألاعمال الظاهرة ، يدل عليه ماجاء من الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه (اللهم لك اسلمت وبك آمنت) فانه يقتضي المغايرة وكذلك قوله تعالى : (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) حيث انه تعالى نفى عنهم الايمان الكامل مع عدم دخولهم في الكفر بدليل انه تعالى اعتبرهم من المسلمين بقوله (وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئا)(٥٣) أما أذا انفرد ذكر الايمان والاسلام احدهما عن الاخر شمل كل منهما معنى الآخر كشطري كلمة الشهادة ، فشهادة الرسالة (اشهد ان محمدا رسول الله) غير شهادة الوحدانية (اشهد أن لا

(٥٢) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٨ فما بعدها ·
(٥٣) نفس المصدر ·

اله الا الله) فهما شيئان فى الاعيان ولكن احداهما مرتبطة بالاخرى فى المعنى والحكم كشيء واحد ، حيث لايقبل التوحيد دون الايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك لايقبل الايمان بالرسالة دون التوحيد ... لان حالة الاقتران غير حالة الانفراد ... فانظر الى قول النبى صلى الله عليه وسلم : (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله)(٥٤) فإن قالوا لا اله الا الله وأنكروا الرسالة ماكانوا يستحقون العصمة (اى عصمة دمائهم واموالهم) بل لابد ان يقولوا لا اله الا الله قائمين بحقها ، ولا يكون ذلك الا من صدق بالرسالة وكذا من شهد ان محمدا رسول الله لايكون قائما بهذه الشهادة حق القيام الامن صدق هذا الرسول فى كل ماجاء به فتضمنت التوحيد واذا ضمت شهادة ان لا اله الا الله ألى وان محمداً رسول الله كان المراد من الشهادة الاولى اثبات التوحيد ومن الثانية أثبات الرسالة .

فكذلك الايمان والاسلام اذا قرن احدهما بالآخر كقوله تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الاحزاب ـ٣٥ـ كان المراد من احدهما غير المراد من الآخر ، فانهما متلازمان لا ينفصل احدهما عن الاخر ، الا ترى ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف الاسلام بقوله (الاسلام ان تشهد ... الخ) فكلمة الشهادة التى تعبر عن الايمان داخل ضمن تعريف الاسلام ولكن لا نستطيع القول بأنهما متطابقان لتعريف الرسول صلى الله عليه وسلم الايمان بالاركان الستة المعروفة(٥٥).... فهما متغايران من حيث الاركان الا أن

---

(٥٤) متفق عليه

(٥٥) وعرف الاسلام بالاعمال ...

احدهما مرتبط بالآخر أو يستند عليه فالايمان بمثابة الاســاس من البناء والاسلام بمثابة البناء ، فلا يقوم البناء بدون اساس ، ولا ينفع الاساس بدون بناء ، ولذلك وردت النصــوص مرجعا الاعمال الاسلامية الى الايمان كما مر من قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (الايمان بضع وسبعون شعبة ٠٠٠) وكذلك جعل الايمان من ضــمن الاسلام كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (الاسلام ان تشهد ان لا اله الا ألله وأن محمدا رسول الله ٠٠٠ الخ) فاذا ثبت هذا فان مايرد من الاحاديث التى تقول بدخول من يتلفظ بالشهادة الجنة أو بعدم دخوله النار يكون القصد منه ــ والله اعلم ــ الايمان الشمولى الذى يعنى الاسلام أيضا ، فمن يقول لا اله الا الله ومحــمد رسول الله يــكون موحدا ومؤمنا بما جاء به الرسول صلى‌الله‌عليه‌وســلم وبالتالى متصــفا بما يملى عليه ايمانه من عمل فيكون اهلا لدخول الجنة لقــوله صلى الله عليه وسلم : (من شهد ان لا اله الا الله وان محمــدا رســول الله حرّم الله عليه النار)(٥٦) ٠

المبحث الخامس

(من قال لا اله الا الله دخل الجنة) حســب ألاراء الكلامية ٠)

على مذهب المرجئة تؤخذ الاحــاديث التى تقول بدخــول قائل كلمة التوحيد الجنة على ظاهرها حيث أنهم يقولون لاتضر مع الايمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة فبقولهم هذا يترتب دخول الجنة

(٥٦) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت ٠

على مجرد الايمان بـ (لا اله الا الله محمد رسول الله) وان أقترن ذلك بالمعاصى ، وعلى مجرد قول كلمة الشهادة على ضوء رأى الكرامية أن الايمان هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله فقط ، يؤيدهم فى ذلك قوله تعالى : (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ـ النساء ـ ٤٨ ـ • ولكن تعارضهم الآيات القرآنية الدالة على الحساب والوزن للاعمال كقوله تعالى : (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازنيه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) ـ الاعراف ـ ٨ ، ٩ ـ وكذلك قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزال ـ ٨،٧ ـ ومافى معناهما من الآيات • ولكن مذهب جمهور العلماء من الاشعرية واصحاب المذاهب والسلف وأهل الحديث سوأء منهم الذين قالوا بان الايمان هو التصديق مع القول او الذين قالوا هو التصديق والاقرار والعمل أن الله تعالى يوازن بين اعمال الانسان ، حسناته وسيئاته التى لم يتب عنها ولا اقيم عليها حدها ، فمن رجحت حسناته فهوفى الجنة بمشيئة الله تعالى ، والا فهو من اهل النار الا أن يتغمده الله برحمته فينجيه قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين) الانبياء ـ٤٧ـ وقال تعالى : فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهى نار حامية) • القارعة ـ٦،٧،٨، ٩،١٠،١١ ـ اما من تساوت حسناته مع سيئاته فعلى قول هو من اهل الاعراف وعلى قول آخر من

---

(٥٧) لابن حزم الاندلسى جـ١ ص٤٢ طبعة المكتب التجارى • • •

اهل الجنة لقوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) ـهود ـ١١٤ـ ولاخلاف فى ان التوبة تسقط الذنوب[٥٨] • وان المذنبين انشاء ألله يدخلون النار بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها لقوله تعالى ، فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ، الزلزال ـ ٨ وقوله تعالى : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) غافر ـ١٧ـ ويقول ابن حزم رحمه الله فى محلاه بان هذا لايعارض ماروى فى الحديث بان (من قال لا اله الا الله مخلصا حرم الله عليه النار) او قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) •

فمعناه ان الله حرم عليه الجنة حتى يقتص منه (بالنسبة للثانى) ويحرم النار عليه ان يخلد فيها ابدا (بالنسبة للاول) ، والاول رد على المرجئة الذين قالوا لاتضر مع الايمان معصية والثانى رد على الخوارج الذين يقولون بخلود مرتكب الكبيرة فى النار[٥٩] •

ويقول الامام الشوكانى رحمه الله : (قد اطبق ائمة السلف والخلف والاشعرية والمعتزلة وغيرهم ان الاحاديث الواردة بان من قال لا أله الا الله دخل الجنة مقيدة بعدم الاخلال بما أوجب الله من الفرائض وعدم فعل كبيرة من الكبائر التى لم يتب فاعلها عنها وان مجرد الشهادة لايكون موجبا لدخول الجنة فلا يكون حجة على المطلوب)[٦٠] •

---

(٥٨) انظر نفس المصدر السابق ، ونحوه فى تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى لمحمد بن عبدالرحمن المباركفورى جـ٧ ص٣٩٤ •

(٥٩) المحلى لابن حزم جـ١ ص٤٣ •

(٦٠) نيل الاوطار للشوكانى جـ١ ص٣٧٦ •

فالمذاهب الكلامية وان كانت مختلفة لفظا فى مدلـول الايمان الا أنهم يكاد يكونون متفقين على حســاب الاعمال ووزنـها ودخول الجنة والنار حسب ذلك الحساب والوزن كما قررته الآيات والاحاديث الدالة على ذلك ، أما الاستثناءات كأن يعفو الله عن شخص لاخلاصه وعن آخر بفضل منه وآخر لعمل لقى القبول عنده تعالى ٠٠٠ فهذا بحث آخر خارج عن الخط العام والمفاهيم القطعية التى دلت عليـه عموم النصوص الاسلامية من القرآن والحـديث ـ والله اعلم ـ

الفصـــل الثاني

اراء العلماء في

« من قال لا اله الا الله دخل الجنة »

وردت احاديث كثيرة عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم تخبر بدخول من تلفظ بكلمة التوحيد وشهد بها الجنة أو حرمة جلده على النـــار بلغت حد التواتر(١)، فوردت بعضها مطلقة كحديث (من كان آخـــر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة)(٢) ومـــذكورا فى بعضـــها الشـــطر الثانى من الشهادة كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النـــار(٣) ووردت بعضـــها مقيدة بالاخلاص كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة)(٤) أو بالصدق كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من شهد أن لا اله الا الله صادقا مـــن قلبه ، ثم مات حـــرم الله تعـــالى لحمه على النار)(٥) ووردت فى معنى هذه الاحاديث آحاديث اخرى اكثر تفسيرا كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من قال رضيت بالله ربـــا وبالاسلام دينـــا وبمحـــمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم رســـولا وجبت لـــه

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى لعبدالوهاب السبكى جـ١ ص٥٣ ط١٣٨٣هـ-١٩٦٤م .

(٢) رواه ابو داود عن معاذ بن جبل ورواه السبكى باسناده فى طبقاته .

(٣) رواه الشيخان والترمذى عن معاذ بن جبل .

(٤) رواه الطبرانى عن معاذ بن جبل ورواه مسلم بلفظ مختلف .

(٥) رواه السبكى باسناده عن معاذ بن جبل/انظر طبقات الشافعية جـ١ .

الجنة)(٦) ••• فاختلف العلماء فى المراد بهذه الاحاديث هل انها تؤخذ على اطلاقها أم تقيد بعضها ببعض أم ان المفسر منها قد فسر مجملها ام ان المقصود منها مع مايترتب على كلمة الشهادة من طاعات، فنذكرها ونستعرضها لعلنا نتوصل الى نتيجة مرضية بعد مناقشتها ان شاء الله تعالى ، وبالله التوفيق •

الرأى الاول

ان مثل هذه الاحاديث كانت فى اول الاسلام قبل نزول الفرائض والحدود كما جاء فى كتاب عقيدة المسلم لمحمد الغزالى قوله :

(ذهب طوائف من اساطين اهل العلم الى ان مثل هذه الاطلاقات التى وردت فيمن قال لا اله الا الله دخل الجنة أو حرم جلده على النار او نحو ذلك ، انما كان فى ابتداء الاسلام حينما كانت الدعوة الى مجرد الاقرار بالتوحيد ، فلما فرضت الفرائض وحدت الحدود نسخ ذلك ، والدلائل على هذا كثيرة متظاهرة ، والى هذا القول ذهب الضحاك والزهرى وسفيان الثورى وغيرهم)(٧) •

ويقول صاحب التاج الجامع للاصول فى شرحه (غاية المأمول) عند شرح الحديث الذى روى عن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم : (مامن احد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار •••) يقول كان هذا فى اول الاسلام حيث سئل الزهرى عن حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة

---

(٦) رواه ابو داود عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه •

(٧) عقيدة المسلم لمحمد الغزالى ص١٠٨ نشر دار الكتاب العربى سنة ١٩٥١ ص١٠٨ •

فقال : انما كان هذا فى اول الاسلام قبل انزال الشـرائع والاحكام ترغيبا فى الدين الحنيف · او المراد بالنار نار الخلود والا عارضتنا الادلة الدالة على تعذيب العصاة كقوله تعالى : (ان الـذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقوله تعالى (ومن يعص اللـه ورسوله ويتعـد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) ـالنساءـ١٣ـ فلا بد من التأويل كـما قلنا حتى تلتئم نصوص الشريعة)(٨) ·

وقد نقل الامام الشوكانى رحمه الله تعالى اجماع المسلمين على هذا الرأى ثم يرده فيقول : اجمع المسـلمون على ان هذه الاحاديث مقيدة بعدم المانع ولهذا أولها السـلف فحكى عن جمـاعة منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والامر والنهى)(٩) ·

ولكن هذا الرأى مردود بان راوى بعض هذه الاحاديث هو أبو هريرة رضىاللهعنه ، وكان الكلام موجها اليه ، وابو هـريرة كان متأخر الاسلام حيث اسلم عام خيبر سنة سبع بالاتـفاق ، وكانت اذ ذاك احكام الشريعة مستقرة من الصلاة والصـيام والزكاة والـحج وغيرها لذلك يجب الذهاب الى رأى آخر غير هذا(١٠) ·

---

(٨) غاية المأمول شرح التاج الجامع للاصول جـ١ ص٤٢ ·

(٩) نيل الاوطار للامام محمد بن علي الشوكانى ١٢٥٥ هـ حـ١ ص٣٧٦ دار الجيل بيروت ـ لبنان ١٩٧٣م ·

(١٠) نفس المصدر ·

الرأى الثاني

ان مثل هذه الاحاديث كان ترغيبا للمشركين فى الاسلام حيث ان الرسول صلىاللهعليهوسلممبدأ دعوته كان يكتفى من الكافرين بظاهر قولهم ترغيبا فى الاسلام وترك عقيدة الشرك ، لهذا كان الرجل يدخل فى الاسلام لايريد الا الدنيا فلا يلبث الا قليلا حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا ومافيها(١١) .

وهذا الرأى يقبل من وجه ولايقبل من وجه آخر ...

اما انه لايقبل فمن جهة أنه لايليق بشخصية الرسول صلىالله عليه وسلم ونزاهته وصراحته فى دعوته لما فيه من المخادعة وتبرير الوسيلة المخالفة لصفات النبوة ومقاصد الشريعة . ولقوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ـالحجرـ٩٤ـوقوله تعالى :(قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) يوسف ـ١٠٩ـ علما بان المشركين كانوا يدركون الى ابعد الحدود ماذا كان يعنى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) من توحيد الربوبية والالوهية ونبذ ماهم عليه من انظمة ومصالح دنيويه ولذلك كان يصعب عليهم الايمان ، ولو كان الفهم عندهم بهذه البساطة من أن يقولوا كلمة التوحيد فيدخلوا الجنة دون ان تغير هذه الكلمة شيئا من حياتهم الدينية والدنوية لما عارض احد فى التلفظ بهذه الكلمة ولكن لم يكن ذلك كذلك .

واما انه مقبول فمن جهة أن الله تعالى جعل قسما من

---

(١١) البيان فى تصحيح الايمان لابراهيم محمد عبدالباقى ص٣٧ ـ المكتبة التجارية الكبرى .

اموال الزكاة للمؤلفة قلوبهم ترغيبا لهم فى البقاء فى الاسلام وعدم الردة حيث كانوا ضعيفى الايمان حديثى العهد بالاسلام فيمكن القياس على هذا استحسانا ٠

الرأى الثالث

ان مثل هذه الاحاديث مجملة تفسرها وتفصلها الاحاديث الاخرى التى وردت عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم ونقل الشوكانى انه حكى النووى عن بعضهم ـ اى بعض العلماء ـ أنها مجملة تحتاج الى شرح ومعناه : من قال الكلمة وادى حقها وفريضتها ، قال وهذا قول الحسن البصرى)(١٢) ويشبه هذا قول الامام السبكى الذى يقول : (واعلم ان جميع ماسقناه فى قول لا اله الا الله المرأد به فى أكثر الاحاديث صيغة الشهادتين لا اله الا الله محمد رسول الله ، وقد صار كالشىء الواحد لان الاعتبار باحدهما متوقف على الاخر ، ومن ثم قال القاضى ابو الطيب الطبرى وجماعة فى تلقين الميت يلقن الشهادتين (لا اله الا الله محمد رسول الله) وقال النبى صلى‌الله عليه‌وسلم : (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها)(١٣) وانما يعصم دماؤهم اذا أقروا بالشهادتين ولذلك جاء مصرحا فى بعض الاحاديث (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمداً

---

(١٢) نيل الاوطار للشوكانى جـ١ ص٣٧٦ ، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى للامام الحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفورى ـ جـ٧ ص٣٩٤ ـ الناشر المكتبة السلفية فى المدينة المنورة ٠ بمراجعة وطبع احمد محمد عثمان ٠

(١٣) رواه السبكى فى طبقاته ٠ جـ١ ص٦٨ ٠

رسول الله)(١٤) وفي رواية اخرى لابى هريرة (حتى يشـهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنـوا بي وبما جئت به) وفي رواية أخـرى عن أنس : حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ، فاذا شـهدوا أن لا أله الا الله وأن محمدا رسول الله وأستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا ، وصلوا صلاتنا ، حـرمت عليهم دماؤهـم وامـوالهم الا بحقها)(١٥) وهذا الرأى صائب الا ان الامـام السبكى رحمـه الله تعالى قد خلط بين مايترتب على قائل كلـمة التوحيـد فى الـدنيا ومايترتب عليه فيما بينه وبين الله ··· فان قـول الرسـول صلى اللهعليهوسلم : (امرت ان اقاتل الناس حتى ···· الخ) يدل على واجبة تجاههم فى الدنيا أو موقف الدولة الاسـلامية منـهم ، أمـا الاحاديث المجملة التى تقول بدخول قائل كلمة التوحيد الجنة فهى فيما بينه وبين الله تعالى فالحالتان ليستا واحدة ولكن يمكن تفسير تلك ألاحاديث المجملة التى تقول بدخول قائل (لا اله ألا الله) الجنة بقوله صلى الله عليه وسلم : من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلىاللهعليهوسلم رسولا وجبت له الجنة)(١٦) فانه يفسـر ماسبقه بان المقصود بلا اله الا الله الايمان المتضمن توحيد الربوبية والالوهية ، وبالاسلام المتضمن جميع اركانه وبمـحمد صلىاللهعليه وسلم المتضمن اطاعته واتباعه · يدل على هذا مـاروى عن زيد بن أرقم قال قال رسول اللـه صلىاللهعليهوسـلم : (من قال لا اله الا

(١٤) متفق عليه من حديث ابن عمر مرفوعاً ·
(١٥) رواه البخارى والترمذى وابى داود والنسـائى عن أنـس مرفوعاً ·
(١٦) رواه ابو داود عن ابى سعيد الخدرى ·

الله مخلصا دخل الجنة) قال رسول اللهصلىاللهعليهوسلم : واخلاصها ان تحجزه عما حرم الله)(١٧) وبهذا يستقيم الامر .

الرأى الرابــع

الجمع بين الاحاديث الدالة على دخول قائل كلمة التوحيــد الجنــة والآيات والاحاديث الدالة على عذاب المذنبين وهو رأى الامام النووى رحمه الله تعالى نقله الامام الشوكانى فى نيل الاوطار وهو :

(ويمكن الجمع بين الادلة بان يقال المراد باستحقاقه الجنة انه لابد من دخولها لكل موحد اما معجلا معافى واما مؤخرا بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود) ويقول بان ذلــك حكى عن القاضــى عياض وقال انه فى نهاية الحسن ولا بد من المصير الى التأويل لمــا ورد من نصوص الكتاب والسنة بذكر كثير من الواجبــات الشرعيــة والتصريح بان تركها موجب للنار وكذلك وردت النصــوص بذكر كثير من المحرمات وتوعد فاعلها بالنار)(١٨) .

وهذا هو نفس راى الامام السبكى كما جاء فى كتابه طبقات الشافعية فى قوله : (وهذه الاحاديث وما ناسبها يجمع بينها وبين الادلة الدالة على انه لابد من ان يقــع عقاب بعــض المســلمين على جرائمهم بان المراد دخول الخلود لا اصل الدخول ، فكل مســلم ذى جريمة لا بد ان يدخل الجنة لا محالة ، واما النار فان لم يعف الله عن جرائمه فهو يدخلها ثم لامحالة يخرج منها ، للاحاديث الدلة على

(١٧) رواه الطبرانى عن زيد بن ارقم/انظر الطبقات للســبكى جـ١ ص .

(١٨) نيل الاوطار للشوكانى جـ١ ص٣٧٧ .

انه لايبقى فى النار من يقول لا انه الا الله ، وعلى انه تعالى يقول : اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خـردل من أيمان، فعن انس رضىاللهعنه عن النبى صلىاللهعليهوسـلم قـال : يقول الله : اخرجوا من قال لا الـه الا الله وفى قلبـه من الخير مايـزن شعيرة ، اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه مـن ألخير مايزن برة ، اخرجوا من النار من قال لا اله الله وفى قلبه من الخير مايزن ذرة)(١٩) .

وهذا الرأى يوافق راىجمهور العلماء مناهل السنة والجماعة فى قولهم بعذاب المذنبين ـ الا ان يعفو الله عنهم ـ ودخولهم الجنة بعد التطهير ، سواء منهم من قال بـان الايمـان تصـديق وقول أو تصديق وقول وعمل يدل على ذلك مارواه ابن حبان من حديث ابى هريرة : (فانه من كان آخر كلامه عنـد الموت لا الـه الا اللـه دخل الجنة يوما من الدهر وان اصابه قبل ذلك ما اصابه)(٢٠) وبهذا الجمع قال صاحب كتاب الاحوذى بشرح جامع الترمذى فى قوله :

(قد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص العلم القطعى ، فاذا تقررت هـذه القاعدة حمل عليها جميع ماورد من احاديث هذا الباب وغيره ، فاذا

---

(١٩) طبقات الشـافعية للسـبكى جـ١ ص٦٠ والحـديث رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢٠) فى كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمـد بن علان الصديقى الشافعى الاشـعرى ١٠٥٧هـ جـ٦ ص١٥٥ مطبعة حجازى بالقاهرة .

ورد حديث في ظاهرة مخالفة وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشــرع ·)[٢١] ·

الرأى الخـامس

ان من قال لا اله الا الله دخل الجنة أذا كان مقــرونا بالتوبة النصوح التى هى الاقلاع عن المحــرمات والاقبــال على الطــاعات باخلاص ··· ويقول بهذا القول الامام البخارى رحــمه الله تعالى فى الحديث الذى يرويه فى صحيحه عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى صلىاللهعليهوسلم قال : اتانى جبــريل عليه الســلام فبشرنى انه من مات من امتك لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت وان زنى وان سرق ؟ قال وان زنى وان ســرق قلت وان زنى وان سرق ؟ قال وان زنى وان سرق ، ثم قال فى الرابعة : على رغم انف أبى ذر) حيث يقول قال أبو عبدالله هذا عند الموت أو قبله اذا تاب وندم وقال لا أله الا الله غفر له[٢٢] وهو رأى الامام ابن حجر العسقلانى رحمه الله أيضا عند شرحه لهذا الحديث ·

وحاصل ما اشار اليه ان الحديث محمول على من وحد ربه ومات على ذلك تائبا من الذنوب التى أشير اليها فى الحديث ، فانه موعود بهذا الحديث بدخول الجنة ابتداء ، وهذا فى حقوق الله باتفاق اهل السنة ، واما حقوق العباد فيشترط ردها عند الاكثر وقيل بل هو كالاول ويثيب الله صاحب الحق بما شــاء · وامــا من تلبــس

---

(٢١) تحفة الاحوذى لشــرح جامع التــرمذى للحــافظ محمــد المباركفورى جـ٧ ص٣٩٤ ·

(٢٢) صحيح البخارى باب اللباس جـ٧ ص٤٤ ·

بالذنوب المذكورة ومات من غير توبة فظاهر الحديث انه أيضا داخل في ذلك ، لكن مذهب اهل السنة انه في مشيئة الله تعالى ويدل عليه حديث عبادة بن الصامت الماضي في كتاب الايمان فانه فيه : ومن اتى شيئا من ذلك فلم يعاقب به فامره الى الله تعالى ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه ، وهذا المفسر مقدم على المبهم ، وكل منها يرد على الخوارج والمعتزلة الذين يدعون وجوب خلود من مات من مرتكبي الكبائر من غير توبة في النار اعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه، ونقل ابن التين عن الداودي ان كلام البخاري خلاف ظاهر الحديث ، فانه لو كانت التوبة مشترطة لم يقل وان زنى وان سرق ، قال وانما المراد ان يدخل الجنة اما ابتداء واما بعد ذلك ـ والله أعلم ـ)[٢٣] وقال بهذا الرأي أيضا صاحب كتاب البيان في تصحيح الايمان حيث ذكر هذه الاحاديث في باب التوبة وقال بعد الحث على التوبة من الذنوب :

(كذلك اذا تاب من الكفر ونطق بكلمتي التوحيد مع اذعان النفس وقبولها وتحقيق معناها قولا وعملا وتصديقا ولكن عاجله الموت فلم يتمكن من العمل او حال بينه وبين العمل مانع قبلت توبته وهذا هو فقه الحديث الذي اخرجه ابو داود عن معاذ بن جبل رضي‌الله‌عنه قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة) فمن كانت هذه حالته قبلت توبته حيث فاجأه الموت فلم يكن عنده وقت العمل واصلاح ما فسد ، وبهذا

(٢٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري باب اللباس .

يعلم فساد القول بان من نطق بكلمتي الشهادة صار مسلما ويعذب على العمل فقط) (٢٤) ٠

ان هذا الرأى ذو جانبين :ـ

الجانب الاول : وهو أن دلالة احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الواردة فى موضوع دخول قائل كلمة التوحيد الجنة على التوبة معارض بحديث معاذ (رضى الله عنه) حيث ناقش الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : وان زنى وان سرق ثلاث مرات لاستغراب ابى ذر (رضى الله عنه) دخول المؤمن الجنة مع ماله من الكبائر وهو أدرى بقصد الرسول صلى الله عليه وسلم ان كان يقصد التوبة آنذاك ٠

وكذلك ماورد فى حديث اخر عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبدالله ورسوله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل)(٢٥) فان قوله صلى الله عليه وسلم : على ماكان من العمل لايدل على التوبة ٠٠٠

اما الجانب الثانى وهو ان مثل هذه الاحاديث كان المراد بها الكفار بانهم اذا قالوا لا اله الا الله دخلوا الجنة ، آما ترغيبا لهم فى الدخول فى الاسلام أو اذا قالوها فلم يلحقوا أن يعملوا فماتوا يدخلون الجنة ٠٠٠

اما كونها ترغيبا فقد سبق الكلام فيه ٠

---

(٢٤) البيان فى تصحيح الايمان لابراهيم محمد عبدالباقى ص٣٧ ٠

(٢٥) متفق عليه ٠

واما كونها بالنسبة للكفار الذين يدخلون الاسلام لتوهم فيقولون هذه الكلمة فيسرع اليهم الموت قبل العمل فهو أيضا مردود لان هذه الاحاديث كانت موجهة للمسلمين دليل ذلك قول عمر رضي الله عنه حين سمع ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم يارسول الله دعهم يعملوا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : دعهم يعملوا .. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين قال افلا ابشر به الناس ؟ قال : لا ، اذن يتكاوا ! فكان المراد به المسلمين وليس الكفار الذين يؤمنون فيسرع اليهم الموت قبل اكتساب العمل ... مع العلم بان الكافر الذى يؤمن ثم يموت بعد ايمانه قبل ان يلحق فيعمل يدخل الجنة بادلة أخرى غير هذه ...

الرأى السادس

ان المراد بمن قال لا اله الا الله دخل الجنة هم الذين تشملهم الشفاعة ، فمن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئا كان اهلا لنوال الشفاعة(٢٦) سواء كانت شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم او غيره ومن ثم يكون اهلا لدخول الجنة كما روى عن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل نبى دعوة مستجابة ، فتجعل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله من مات من امتى لايشرك بالله شيئا)(٢٧) وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ،

(٢٦) انظر نيل الاوطار للشوكانى جـ١ ص٣٧٥ وطبقات الشافعية للسبكى جـ١ .

(٢٧) رواه مسلم .

من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقـال النبى صلىاللهعليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة ان لايسألنى عن هـذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، اسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصـا من قبل نفسـه) وفى روايةمخلصا من قلبه(٢٨) • او أن كلمة التوحيد هى نفسها تشفع لصاحبها فيغفر الله له فلا يعذبه فعن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلىاللهعليهوسلميقول : أن الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسـعة وتسعين سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول أتنـكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ يقول لايارب فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول لايارب ، فيقول بلى ان لك عنـدنا حسنة وانـه لاظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها (أشـهد ان لا اله الا اللـه وأشـهد ان محمدا عبده ورسوله) فيقول أحضر وزنك ، فيقول يارب ما هذه البطاقة وماهذه السجلات ؟ فقال فانك لاتظلم ، قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ،ولايثقل مع اسم الله شىء)(٢٩) قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى ليس كل من تكلم بالشهادتين كان بهذه المثـابة ، لان هذا العبد صـاحب البطاقة كان فى قلبه من التوحيد واليقين والاخلاص ماعـظم قدره حتى صار راجحا على هـذه السـيئات • وقال ابن القيم : الاعمال لاتتفاضل بقدرها وعددها وانما تتفاضل بتفاضل مافى القلوب ، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضـل كما بين السماء

---

(٢٨) رواه البخارى والنسائى •

(٢٩) رواه الترمذى وحسنه وصححه الذهبى •

والارض قال : وتأمل حديث البطاقة ومعلوم ان كل موحد له هذه البطاقة والكثير منهم يدخل النار بذنوبه ، بل اليهود أكثر من يقولها والذى يقولها ويخالفها اعظم كفرا ممن يجحدها اصلا ، فان الكافر الاصلى اهون كفرا من المرتد(٣٠) ٠

أوتكون شفاعة كلمة التوحيد لصاحبها باخراجه من النار لما رواه الترمذى عن ابى سعيد الخدرى وانس عن النبى صلىاللهعليه وسلم قال : سيخرج قوم من النار من اهل التوحيد ويدخلون الجنة) ولما روى عن انس رضىاللهعنه عن النبى صلىاللهعليهوسلم قال : (يقول الله : اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه من الخير مايزن برة ، اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه من الخير مايزن ذرة)(٣١) ٠

وعن ابن عباس فى قوله تعالى : (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ـ الحجر ـ ٢ ـ قال سمعت رسول الله صلىاللهعليه وسلم يقول: .: (اذا دخل اهل التوحيد النار ـ من استوجب النار ـ يقول لهم المشركون : ما أغنى عنكم توحيدكم وأنتم معنا فى النار ؟ فينادى منادى الرحمن عز وجل على باب جهنم ، اخرج من جهنم من قال لا اله الا الله ، قال فيخرجون فيدخلون فى نهر الحيوان فتبيض وجوهم ثم يجعل على رؤوسهم أكاليل من ذهب ، يلبسون السندس والاستبرق ، ثم تحملهم الملئكة على أسرة من ذهب

---

(٣٠) حاشية كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب ، بشرح عبدالرحمن العاصى ط١ ١٩٩٦هـ المطابع الاهلية ـ الرياض ٠

(٣١) رواه البخارى ومسلم ٠

مفصصة بالياقوت والزبرجد حتى يقفوا على باب النـار فيقال : يـا أهل النار انظروا مايصنع الله عزوجل بمن قال لا اله الا الله ، ثم يقال انطلقوا بـهم الى الجنـة ، فيقول اهل النـار : ياليتنـا كنا مسلمين)(٣٢) .

الرأى السابع

ان جريان كلمة لا اله الا الله على لسان مسلم آخر حيـاته علامة على ان هذا الشخص ممن يعفو الله عنهم ويدخـلهم الجنة برحـمته وخاصة اذا كان من الصالحين فييسر الله تعالى له التلفظ بهذه الكلمة عند أو قبيل موته .

قال السبكى فى حديث (من كان آخر كلامه لا اله الا الله حرم الله عليه النار) وفى رواية دخل الجنة ، انه اذا سأل سائل فقال : اذا كنتم معاشر اهل السنة تقولون ان من مات مؤمنـا يدخل الجـنة لا محالة وانه لابد من دخول من لم يعف الله عنه مـن عصاة المسلمين النار ، ثم يخرج منها ، فهذا الذى تلقنونه عند الموت كلمة التوحيد اذا كان مؤمنا ماذا ينفعه كونها آخر كلامه ؟ قلت : لعل كونها اخر كلامه قرينة انه ممن يعفو الله عن جرائمه فلا يدخل النار أصلا كما جاء فى اللفظ الاخر (حرم الله عليه النار) ، واذا كنا لانمنع ان يعفو الله عن بعض عصاة المسـلمين ولايؤاخـذه بذنوبه فضـلا منه واحسانا ، فلا يستبعد ان ينصب الله النطق بكلمة التوحيد اخر حياة

(٣٢) رواه السبكى باسناده فى طبقاته .

المسلم امارة دالة على أنه من اولئك الذين يتجاوز عن سيئاتهم)[33]
او الذين هم من اهل التقوى والورع للاعلام بدخولهم الجنة ·
ويروى لهذا حادثة وهى ان أبا زرعة الرازى لما حضره الموت فكان
ممن عنده سال احدهم الاخر ، ماتحفظ من تلقين الموتى ؟ فرفع ابو
زرعة رأسه وهو فى النزع وذكر اسناد الحديث الى ان قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان آخر كلامه لا اله الا الله)·
وخرجت روحه مع الهاء من قبل ان يقول (دخل الجنة)[34] ·

فكان آخر كلام ابى زرعة (لا اله الله) حتى ان الله تعالى لم
يمكنه من قول (دخل الجنة) حتى لايكون اخر كلامه غير لا اله الا
الله ··· وهو كان من المحدثين الاتقياء الورعين وهو من اهل الجنة
إن شاء الله تعالى فكان قوله لا اله الا الله هنا علامة على العلم بدخوله
الجنة ــ والله اعلم ــ ·

(الرأى الثامن)

ان دخول الجنة ليس ثمنه الاعمال لان الاعمال لاتساوى شيئا
مقابل نعم الله تعالى الممنوحة للانسان التى لاتعد ولا تحصى ···
وانما يدخل الانسان الجنة بفضل الله ومنه والعمل واجباو أوجبه
الله تعالى عبادة له وتحقيقا لمصالح العباد وتنظيما لشؤونهم ·

جاء فى كتاب عقيدة الفرقة الناجية مانصه :

او يعتقدون ويشهدون ــ اى اهل السنة والجماعة ــ ان احدا
لاتجب له الجنة وان كان عمله حسنا وطريقه مرتضا الا ان يتفضل

---

(٣٣) طبقات الشافعية الكبرى لعبدالوهاب السبكى جـ١ ص٦٣ ·
(٣٤) نفس المصدر ص٦٤ ·

الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله ، اذ عمل الخير الذى عمله لم يتيسر له الا بتيسير الله عز اسمه ، فلو لم ييسره له لم يهتد ابدا قال عزوجل : (واولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من احد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء)(٣٥) ٠

ويروى ابو حنيفة رضيالله عنه عن عطاء بن أبى رباح (رض) حين سئل عن اناس لايثبتون الايمان لانفسهم ـ اى لايقولون انا مؤمنون بل يقولون انا مؤمنون ان شاء الله ـ مخافة ان يعتبر ذلك منهم ادعاء بدخولهم الجنة فقال : ٠٠٠ فقل لهم يقولون انا مؤمنون ولايقولوا انا من اهل الجنة ، فان الله تعالى لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، فقال له علقمة يا ابا محمد ان الله تعالى لو عذب الملئكة الذين لم يعصوه طرفة عين عذبهم وهو غير ظالم لهم ؟ قال : نعم ، قال : هذا عندنا عظيم فكيف نعرف هذا ؟ فقال يا ابن أخى من هنا ضل اهل القدر فاياك أن تقول بقولهم فانهم اعداء الله الرادون على الله، أليس يقول الله تعالى لنبيه صلىاللهعليهوسلم (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فقال له علقمة : اشرح يا ابا محمد شرحا يذهب عن قلوبنا هذه الشبهة ، فقال : اليس الله تبارك وتعالى دل الملئكة على تلك الطاعة والهمهم اياها وعزمهم عليها وجبرهم علىذلك؟ قال : نعم ، فقال : وهذه نعم أنعم الله تعالى بها عليهم ؟قال : نعم،

---

(٣٥) عقيدة الفرقة الناجية ـ للصابونى ـ محمد بن عبدالوهاب ـ الشوكانى ـ اعداد وتقديم عبدالله عجاج ٠ نشر شركة السلام العالمية ١٤٠٠هـ ٠

قال : فلو طالبهم بشكر هذه النعم ماقدروا على ذلك وقصروا وكان له ان يعذبهم بتقصير الشكر وهو غير ظالم لهم[٣٦] ٠

ويدل على هذا مارواه مسلم عن ابى هريرة رضىاللهعنه عن رسول الله صلىاللهعليهوسلم انه قال : لن ينجى احدا منكم عمله ، قال رجل : ولا اياك يارسول الله ! قال : ولا اياى الا أن يتغمدنى الله منه برحمة ، ولكن سددوا)[٣٧] لذلك قال صلىاللهعليهوسلم : (سددوا) للدلالة على أن العمل لابد منه ٠٠٠ وفى حاشية صحيح مسلم أيضا : قال العينى قيل كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) الزخرف ـ٧٢ـ اجاب ابن بطال بما ملخصه ان الآية تحمل على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال ، وان درجات الجنة متفاوته بحسب تفاوت الاعمال ، ويحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ، ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى : (سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالاعمال ، وأجاب بانه لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير : ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون)[٣٨] ٠

فاذا كانت منازل الجنة حسب قدر الاعمال ونوعيتها فكلما قل عمل الانسان نزل منزلة حتى اذا انعدم عمله وبقى له فقط قول لا اله الا الله دخل ادنى منزلة من الجنة بفضل الله تعالى ورحمة منه ،

---

(٣٦) مسند الامام ابى حنيفة (رضىاللهعنه) طبعة ١٣٢٧هـ شركة المطبوعات العلمية ص٤ ٠

(٣٧) صحيح مسلم جـ٨ ص١٤٠

(٣٨) صحيح مسلم جـ٨ ـ منشورات المكتب التجارى ـ بيروت ٠

والدليل ما اخرجه ابو يعلي وابن العساكر : (من كـان آخر كلامه لا اله الا الله وحده لاشريك له هـدمت ماكان قبلهـا من الـذنوب والخطايا)(٣٩) ·

اللهم اهدم خطاياى بقولى لا اله الا الله ·

(الرأى التاسـع)

من قـال لا اله الا الله دخل الجـنة فى وقت يندرس الاسـلام وتتلاشى الاعمال الاسلامية ويختـفى الايمان فيـعود الدين غريبا صعب التعرف عليه أو التدين به بحيث ان الناس يومئذ يسمعون انه قد كان قوم يوحدون الله تعالى ويعبدونه ويتناقلون ذلك فيما بينهم من باب التعجب او الاسـتهزاء ، فان وجـد فيما بينهـم من يؤمن بالتوحيد ويقول لا اله الا الله ضمن تلك الظروف الغامضة والتيه البعيد كان اهلا لان يدخل بمقالته تلك الجنة انشاء الله تعالى امـا لعظم موقفه أو لشدته ، هذا ماوجدته فى مسند الامام ابى حنيفـة رضى الله عنه يروى بسنده عن حذيفة قال : يدرس الاسـلام كمـا يدرس وشي الثوب ، ولا يبقى الا شيخ كبير أو عجوز فانية يقولون قد كان قوم يقولون لا اله الا الله وهم مايقـولون لا اله الا الله ، قال فقال صلة بن زفر : فما يغنى عنهم ياعبدالله لا اله الا الله وهم لايصومون ولايصلون ولايحجون ولايتصدقون ؟ قال ينجون بها من

---

(٣٩) رواه السبكى فى طبقاته جـ١ ·

النار ، ثم قال الثانية يمد بها صوته ، ياصلة ينجون بها من النار)[٤٠] •

وهذا القول شبيه بان يقال ان المراد به الجهر بالايمان على سبيل التحدى ومجابهة الكفار بذلك فى الحالات التى يصعب على المؤمن ان يجهر بكلمة التوحيد خشية مايمكن ان يلقاه من التعذيب والتنكيل من قبل أعداء الاسلام كما كان بلال الحبشى رضى الله عنه يلقى ما يلقاه من التعذيب وهو لايزيد على قول احد أحد ، فلو كان قد مات فى وقت قوله ذلك لكان من اهل الجنة كما كان هو كذلك بعد ، أو كما حصل لابوى عمار بن ياسر حيث قتلا على كلمة ان لا اله الا الله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حقهم : صبرا آل ياسر فان موعدكم ألجنة . فكانا من أهل ألجنة •

ذلك لان مايعانيه الموحد من اذى بتحديه للكفار وثباته أمامهم حقيق ان يدخله الجنة بمشيئة الله تعالى لما يدل ذلك منه على الاخلاص لله تعالى وقوة الايمان ، فيغفر الله له ذنوبه التى قد قارفها بهذا الموقف الايمانى الشجاع وبذلك يستقيم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لابى ذر : وان زنى وان سرق ••• الحديث •

ويدل على هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من قال) والقول فيه الاجهار والاظهار وتسميع الاخرين،ولم يقل من آمن حتى لايفهم منه انه فى القلب على رأى القائلين بان الايمان هو التصديق القلبى ، وانما قال من قال ••• والله أعلم •

---

(٤٠) مسند الامام ابى حنيفة رضى الله عنه طبعة ١٣٢٧هـ شركة المطبوعات العلمية •

(الرأى العاشـر)

ان هذه الاحاديث منها مطلقة كـقوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم (من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة)(٤١) وقوله صـلى‌الله‌عليه وسلم من علم ان لا اله الا الله دخـل الجنة)(٤٢) ومنـها مقيدة فى روايات أخرى كقوله صلى‌الله‌عليه‌وسـلم : (من شـهد ان لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة)(٤٣) فقيد هنا بالاخلاص والشهادة عليه ، وفسر صلى‌الله‌عليه‌وسلم الاخلاص فى رواية بقوله : واخلاصـها ان تحجزه عما حرم الله عليه)(٤٤) . وكذلك قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (من شهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك‌له وان‌محمدا عبده‌ورسوله، وان عيسى عبدالله ورسوله وكلمتـه القاها الى مـريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمـل)(٤٥) فقيده هنا بالايمان برسالة محمد وبشرية عيسى وطهـارة مـولده والايمان بالجنة والنار اللتين تولدان العمل طمعا فى الجنة وخوفا من النار . فلقد قيدت الكثير من هذه الاحاديث بالاخلاص واليقين والعمل وعدم الشرك والايمان بالاسـلام ونبيه صلى الله عليه وسـلم ونقل صاحب كتاب حاشية التوحيد عن شيخ الاسلام قوله : وتواترت

(٤١) رواه ابو داود عن معاذ بن جبل .

(٤٢) رواه السبكى فى طبقاته عن عثمان وقال رواه مسلم وعن حمران والنسائى عن عبده . جـ١ .

(٤٣) رواه الطبرانى عن انس عن معاذ بن جبل/انـظر طبقات الشافعية المسبكى .

(٤٤) رواه الطبرانى عن زيد بن ارقم / انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ١

(٤٥) رواه الصحيحان عن عبادة بن الصامت رضى‌الله‌عنه .

بانه يحرم على النار من قال لا اله الا الله ومن شــهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال ٠

فلا بد من شهادة لا اله الا الله من سبعة شـروط لاتنفع قائلها الا باجتماعها : احدها العلم المنافى للجهل ، الثـانى اليقـين المنافى الشك ، الثالث القبول المنافى للرد ، الرابع الانقياد المنافى للترك، الخامس الاخلاص المنافى للشرك ، السادس الصدق المنافى للترك السابع المحبة المنافية لضدها ٠٠٠(٤٦)

يؤيد هذا القول ورود تلك الاحاديث مقيدة تارة بقوله صلى الله عليه وسلم (من علم) واخـرى ب (مسـتيقنا بها قلبه) وكـذلك (مخلصا) و (من رضى بالله ربا) وغير ذلك ٠٠٠

الفصل الثالث

شمولية (لا اله الا الله) واستمراريتها

المبحث الاول

(شمولية لا اله الا الـله)

لقد سبق فى الفصل الاول ان كلمة الشهادة تدل على توحيد الربوبية والالوهية ، وعلى الايمان والاسلام ، وهذه المعانى تعم جميع الاعمال والسلوكيات الانسانية التى تفترض ان تكون موافقة لمدلول كلمة لا اله الا الله التى تعنى أن لامعبود بحق الا الله ولامطاع الا الله ولاحاكم الا الله ولاهادى الا الله ٠٠٠ فالتوحيد يدل على جميع

(٤٦) حاشية كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالـوهاب بشـرح عـبد الرحمن العاصى ط١ ١٩٩٦هـ ٠ المطابع الاهلية ـ الرياض

معانى الاسلام ، او ان جميع معانى الاسـلام ينـبع من التوحيـد ، فانظر الى شارح العقيدة الطحاوية رحمه الله حيث يقول : وغالب سور القرآن متضمنة لنوعـى التوحيد ، بـل كـل سورة فى القرآن ، فالقرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته ، وهو التوحيد العلمى الخبرى ، واما دعوة الى عبادته وحده لاشريك له وخلع ما يعبد دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى · واما امر ونهى والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته · وآما خبر عـن اكرامه لاهل توحيده ومافعل بهم فى الدنيا ومايكرمهم به فى الآخرة، فهو جزاء توحيده ، واما خبر عن اهل الشرك ومافعل بهم فى الدنيا من النكال ومايحل بهم فى العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ··· فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفى شأن الشرك واهله وجزائهم · ف (الحمد لله رب العالمين) توحـيد (الرحمن الحيم) توحيد (مالك يوم الدين) توحيد(اياك نعبد واياك نستعين) توحيد (اهدنا الصراط المستقيم) توحيد متضمن لسؤال الهداية الى طريق أهل التوحيد ، (الذين انعمت عليهم غيرالمغضوبعليهم ولا الضالين) الذين فارقوا التوحيد(٤٧) ·

اذن فان شهادة ان لا اله الا الله المقصود منها شموليتها ودلالتها على الاسلام بكليته ، وان ذكر الشطر الاول من الشهادة فقط من باب دلالة الجزء على الكل · اى من دخل الاسلام واتصف به بعمومه دخل

---

(٤٧) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص١٨

الجنة كما ورد عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه قال : أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله)[48] حيث ذكر كلمة (لا اله الا الله) فقط دون ذكر الشطر الثاني وهو (محمد رسول الله) ودون ذكر الصلاة الزكاة والصيام والحج كما وردت فى الروايات الاخرى ٠

ومن المعلوم ان الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم قاتل من كان يؤمن بالله ولايؤمن به كاليهود ، وكذلك قاتل ابو بكر الصديق رضى‌الله عنه مانعي الزكاة واعتبرهم مرتدين ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر بعده ، كفر من كفر من العرب ،فقال عمر بن الخطاب لابى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله عليه وسلم : (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، ومن قال لا اله الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله ٠ فقال ابو بكر : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر بن الخطاب : فوالله ماهو الا أن رأيت أن الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت انه الحق)[49] ٠

فان ابا بكر رضى‌الله‌عنه فهم هنا شمولية كلمة التوحيد لجميع مايتبنى عليه من الطاعات يؤيد هذا القول ماجاء فى رسالة التوحيد للامام المقريزى قوله :

---

(٤٨) رواه الترمذى ٠

(٤٩) رواه مسلم والترمذى ٠

(فاعلم ان الله عزوجل جعل العبادة له انواعا : اعتقادية وهى اساسها وذلك ان تعتقد انه الواحد الاحد الذى له الخلق والامر ، وبيده النفع والضر ، وانه الذى لاشريك له ، ولا يشفع عنده احد الا باذنه ، وانه لامعبود بحق غيره ، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالوهية ·

ومنها لفظية وهى النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ماذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولاماله فكان كابليس فانه يعتقد التوحيد بل ويقربه الا انه لم يتمثل امر الله فكفر ، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله ، وحكمه حكم المنافقين ، وبدنية كالقيام والركوع والسجود فى الصلاة ومنها الصوم وافعال الحج والطواف ·

ومالية كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به وانواع الواجبات والمندوبات فى الاموال والابدان والافعال والاقوال كثيرة لكن هذه أمهاتها ··· اذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث االانبياء عليهم السلام من اولهم الى آخرهم يدعون العباد الى افراد الله تعالى بالعبادة لا الى اثبات انه خلقهم ونحوه اذ هم مقرون بذلك)(٥٠) ·

فمعنى هذا الكلام ان التوحيد يتضمن جميع الطاعات ولا اله الا الله يدل على التوحيد فكان المقصود منه جميع انواع الطاعات · ولقد فرق محمد الحكيم الترمذى بين اهل كلمة لا اله الا الله وأهل قول لا اله الا الله ، ويقصد باهلها من يعملون بمضمونها وشموليتها

---

(٥٠) رسالة تجريد التوحيد للامام احمد بن علي المغريزى وهو جزء من كتاب عقيدة الفرقة الناجية لعبدالله عجاج ·

وباهل قولها من لايؤدون حقها مع قولـها ٠٠٠ فقال فى مبـحث ان العبد يسأل عن صدق لا اله الا الله :

عن أنس رضىاللهعنه رسول الله صلىاللهعليه وسلم فى قوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين) ـالحجرـ٩٢ـ قـال : عن لا اله الا الله ، معناه عن صدق لا أله الا الله والوفاء بها ، قـال الحسن رضىاللهعنه : (ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الاعمال) ولهذا قال رسول الله صلىاللهعليهوسلم: (من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) قيل يارسـول الله مـا اخلاصها ؟ قال ان يحجره عن محارم الله تعالى ٠ قال عليه السلام : ان الله تعالى عهد الى ان لايأتينى احد من امتى بلا اله ألا اللـه لم يخلط بها شيئا الا وجبت له الجنة) قالوا يارسول الله ، وما الذى يخلط بلا اله الله ؟ قال حرصا على الدنيا وجمعـا لها ومنعا لهـا يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة) وثمرة هـذه الكلمة لاهلها واهلها من رعاها حتى قام بوفائها وصدقها ، ومن لم يرعها فليس من اهل لا اله الا الله انماهم من اهـل قول لا أله ألا الله ، فاهل قول لا اله الا الله من كان مرجعه الى القول به والعمل بهواه، واهل لا اله الا اله من كان مرجعه الى اقامة هذا القول وفاء وصدقا، قال عليه السلام : (لا اله الا الله يمنع العباد من سخط الله تعالى مالم يؤثروا صفقة دنياهم على ديـنهم ثم قالوا لا اله الا اللـه ردت عليهم وقال الله كذبتم) ٠ وعن أنس رضى الله عنه قال : قالرسول الله صلىاللهعليهوسلم : (لايزال قول لا اله الا الله يرفع سخط الله عن العباد حتى اذا نزلوا بالمنزل الذى لايبالون مانقص من دينهم اذا سلمت دنياهم فقالوا عند ذلك ، قال الله تعالى كذبتم كذبتم) ٠

وصدق لا الله ان يقفعند صنع لا اله الله وعند أمره كالعبيد، اما صنعه فهو أحكامه عليك وتدبيره فيك مثل العز والذل والعصمة والسقم والفقر والغنى وكل حال محبوب ومكروه • فتقف هناك كالعبيد لاتعصى الله فى جنب ماحكم عليك ودبر لك ويحكم به عليك ، واما امره فهو اداء الفرائض واجتناب المحارم فلا تعصيه فى ترك فريضة ولا انتهاك محرم وهذا ادنى منزلة من صدق ب (لا اله الا الله) لايعه بعد حفظ الجوارح •

واما المنزلة الاعلى ان يكون مع هذين حافظا لقلبه قد راض نفسه وماتت شهواته ، فما ورد عليه من احكام الله تعالى رضى بها واهتشت نفسه الى قبولها حباله واعظاما وما اعطى من الدنيا قنع بها • • •](٥١) •

قال العلامة التفتازانى رحمه الله فى شرحه لكلمة الشهادة (اشهد ان لا اله الا الله) اشارة الى التوحيد ، و (محمدرسول‌الله) الى النبوة ، وهما اصلان متلازمان فى اقامة الدين ضرورة توقف الاسلام على الشهادتين(٥٢) •

وقال فى التوحيد : هو لغة الحكم بوحدانية الشىء والعلم بها واصطلاحا اثبات ذات الله بوحدانيته منعوتا بالتنزه عما يشابهه ، اعتقادا فقولا وعملا فيقينا وعرفانا فمشاهدة وعيانا فثبوتا ودواما•

ونقل عن الامام الغزالى قوله : ان للتوحيد لبان وقشران

---

(٥١) نوادر الاصول فى معرفة احاديث الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم لمحمد حكيم الترمذى من علماء القرن الثالث الهجرى ـ المكتبة العلمية المنورة • باب (ان العبد يسأل عن صدق لا اله الا الله) •

(٥٢) شرح الاربعين النووية للعلامة التفتازانى ص٦٩ مطبعة الاقدام ١٣٢٦هـ •

فالقشرة العليا القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما، واللب ان ينكشف بنور الله سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة صادرا عن فاعل واحد ويعرف سلسلة الاسباب مرتبطة بمسببها . ولب اللب ان لايرى في الوجود الا واحدا ويستغرق في الواحد الحق غير ملتفت الى غيره)(٥٣) .

وهذا كلام صوفي يدل على ان التوحيد الخالص الذى امر به الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم ورتب دخول الجنة عليه يجعل الشخص في حالة (الفناء في الله) كما يقول الصوفية وليس ذاك الا شمولية كلمة لا اله الا الله لجميع سلوكيات واعمال واخلاق قائلها .

يدل على هذا قول الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (الايمان بضع وسبعون ا و بضع وستون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق)(٥٤) .

فشعب الايمان هنا يقصد به جميع الاعمال الاسلامية الاعتقادية والقولية والبدنية والمالية . فقد وجدت في كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين مايؤيد هذا بقوله في شرح هذا الحديث :

[قال الحافظ : وقد رأيتها (اى بضع وسبعون شعبة ...) تتفرع من اعمال القلب واعمال اللسان واعمال البدن .

فاعمال القلب : المعتقدات والنيات وتشتمل على اربع وعشرين خصلة : الايمان بالله ويدخل فيه الايمان بذاته وصفاته وتوحيده وبانه ليس كمثله شيء واعتقاد حدوث مادونه ، والايمان بملئكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ، والايمان باليوم الآخر ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط

---

(٥٣) نفس المصدر السابق ص٦٩ .
(٥٤) رواهما الخمسة / نقلا عن اتباع الجامع للاصول .

والجنة والنار . ومحبة الله والبغض فيه ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم واعتقاد تعظيمه ، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته ، والاخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة والتواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك التكبر والعجب وترك الحسد والحقد وترك الغضب .

واعمال اللسان : وتشتمل على سبع خصال ، التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو .

واعمال البدن تشتمل على ثمان وثلاثين خصلة : منها مايختص بالاعيان وهى خمس عشرة : التطهر حسا وحكما ويدخل فيه اجتناب النجاسة وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا والزكاة كذلك وفك الرقاب ، والجود ويدخل فيه اطعام الطعام واكرام الضيف والصيام فرضا ونفلا والحج والعمرة كذلك والطواف والاعتكاف والتماس ليلة القدر والفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الكفر والوفاء بالنذر والتحرى فى الايمان واداء الكفارات . ومنها مايتعلق بالاتباع وهى ست خصال : التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين ومنه اجتناب العقوق وتربية الاولاد وصلة الرحم وطاعة السادة والرفق بالعبيد . ومنها مايتعلق بالعامة وهى سبع عشرة : القيام بالامرة مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة اولى الامر والاصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال البغاة ، والمعاونة على البر ويدخل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة الحدود والجهاد ومنه المرابطة واداء الامانة ومنه أداء الخمس والفرض مع وفائه واكرام الجار وحسن المعاملة ومنه جمع المال مع حله وانفاق المال

في حقه وفيه ترك التبذير والاسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو واما طة الاذى عن ألطريق ، فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها الى تسع وسبعين باعتبار افراد ماضم بعضه الى بعض](٥٥) .

هكذا نرى ان الايمان شمل جميع اعمال الاسلام بشتى انواعها حسب ماجرى تعدادها ، ويمكن تعدادها وتشكيلها بالشكل الذى يريده الباحث مما يدل على رحابة ساحة الايمان بحيث يشمل كل حركة وسكنة ، فهو القاعدة التى تنطلق منها جميع الاعمال ومن هنا يقول الرسول صلىاللهعليهوسلم : (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه)(٥٦) وكذلك قوله (لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)(٥٧) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (الحياء شعبة من الايمان) ... الخ من هذا النوع من الاحاديث مما يدل على ان جميع مايعمله الانسان اما هو طاعة اذا كان موافقا لمقتضى الايمان او عصيان اذا كان مخالفا لمقتضاه ، فتكون اعماله الموافقة كلها عبادة مهما كان نوع ذلك العمل لقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) حيث ان اعمال الانسان ليست كلها صلاة وصياما أو ماشاكلهما من العبادات المحضة لذلك فالمقصود بالعبادة هنا فى الآية الكريمة ـ والله اعلم ـ الطاعة فيدخل فيها العبادات

---

(٥٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ـ العلامة محمد بن علان الصديقى الشافعى جـ١ . دار الكتاب العربى ـ بيروت .

(٥٦) رواه الخمسة الا اباا داود عن انس رضىاللهعنه ./التاج جـ١ .

(٥٧) رواه مسلم عن ابى هريرة .

المحضة كالصلاة والصيام والذكر والدعاء وغير المحضه كالمعاملات والاعمال التى يمارسها الانسان بحكم اجتماعياته ومصالحه المعيشية متحريا فيها موافقة تلك الاعمال الشرع لذلك نرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم رتب الاجر حتى على اتيان الزوج زوجته وان كان للذته وتحقيق رغبته حينما سأله احد الصحابة فقال يارسول الله ! انا نأتى نساءنا شهوة النا بذلك أجر ؟ فقال : ارأيت لو وضعته فى حرام أعليك وزر ؟ قال : نعم ، قال فذلك كذلك ـ او كما قال رسول الله (٥٨) • ذلك لانه يعلم ذلك الزوج ان الله احل لـه اتيان زوجته ولذلك يعمله ولو كان الله قد حرمه لما عمله ولـذلك لايأتى غير ما احل الله له ، فما دام بعمله هذا يوافق شرع الله ويسايره فهو عبادة وله عليه اجر فاذا كانت الاعمال كلها عبادة وقد امر الله تعالى بتوحيده يعنى ذلك انه لابد من توجيه الاعمال كلها من قبله تعالى اى يكون حسب اوامره ونواهيه ، وهو تعالى لم يدع صغيرة ولا كبيرة الا وانزل فيها حكمه صراحة او ضمنا •

فتوحيده اذن يعنى طاعته دون النفس والهوى أو اى دافع آخر •• فكان قول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله الا الله دخل الجنة ، أو من مات ولم يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، المقصود منه افراده تعالى بالطاعة (المتضمنة للعبادة) والقصد التى تعنى تحرى الحلال والحرام فى الاعمال والاشياء ، وتجنب الشرك فى العبادة والدعاء ، أى شمولية هذه الكلمة هى المقصودة وليس مجرد القول •

---

(٥٨) رواه الامام احمد وابو داود •

اما قوله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : وان زنى وان سرق حين سأله أبو ذر سؤال متعجب(٥٩) فلانه كأن أبو ذر استبعد رحمة الله تعالى ومنه على عباده اذا شاء ان يغفر لهم ويعفو عنهم • فرده الرسول صلى‌الله عليه‌وسلم بلهجته (أى بلهجة ابى ذر نفسها) معلنا ان الله غفور رحيم وذو فضل عظيم يمكن ان يغفر للعبد على ماعليه من العمل بمجرد الايمان ، ولكن لايجوز الاعتماد على ذلك مخافة ان لايشمل المعتمد بذلك الفضل ، ومخافة غلبة المعاصى حتى تؤدى بصاحبها الى الكفر فلا تشمله احاديث هذا الباب البته ، وهذا مافهمه عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه ولذلك قال للرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم : دعهم يعملوا ، لا أنه اراد نصيحة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم أو عدم الرضاء بقوله (والعياذ بالله) ••• وكذلك هذا ماخشيه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم حين قال لمعاذ : (مامن أحد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار، قال يارسول الله افلا أخبر به الناس فيستبشروا قال : اذا يتكلموا)(٦٠) واما حديث : (من شهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبدالله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل)(٦١) فهو موجه الى اليهود والنصارى أنهم اذا آمنوا تفتح لهم صفحة جديدة ولا يحاسبون على اعمالهم السابقة لان الاسلام يجب ماقبله ، حيث أن فى الحديث ذكر عبودية

---

(٥٩) قد سبق ذكر الحديث •

(٦٠) متفق عليه •

(٦١) رواه الصحيحان / المقصود فى المناقشة (على ماكان من العمل) •

عيسى فان النصارى قد جعلوه ابنا لله وذكر طهارة مولده حيث اتهم اليهود أمه ، فان هم آمنوا وتركوا ماهم عليه من ذلك لم يحاسبوا على ماعملوا ـ والله اعلم ـ ، أو المقصود منه أدخله الله الجنة على ماهم عليه من عمل الخير لما روى ان حكيم بن حزام قال لرسول اللهصلىاللهعليهوسلم : (ارأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم ، افيها اجر ؟ فقال له رسولاللهصلىاللهعليهوسلم : (اسلمت على ما اسلمت من خير)(٦٢) .

واما الاحاديث التي تخبر بان من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة فانها تدل على ان حسن الخاتمة تدخل الجنة ، تلك الخاتمة التي هي استمرار لما قبلها من الايمان والاسلام ، وقد كان الرسول صلىاللهعليهوسلم يدعو فيقول اللهم اني اسألك حسن الخاتمة ، أو أنها كما سبق علامة على دخول صاحبها المؤمن المتقي الجنة يجريها الله على لسانه للاخبار بذلك كما مر في حديث أبي زرعة .

واما الاحاديث الاخرى فقد سبق ان مفسرها يفسر مجملها ومقيدها تقيد مطلقها ، واذا كان قائلها تائبا فان التوبة تجب ماقبلها والشفاعة حاصلة للمؤمنين المذنبين ، وفوق كل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده كما مر في حديث البطاقة .

ولكل قاعدة استثناء ، فقد يستثني الله تعالى من يدخله الجنة لعمل وافق رضاء الله تعالى واعجب به كالذي روى في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضىاللهعنه ان رسول الله صلىاللهعليهوسلم قال : بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له) ... أو يعذب الله تعالى مؤمنا بعمل اسخطه تعالى

---

(٦٢) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري بتحقيق الالباني طبعة وزارة الاوقاف الكويتية الحديث رقم ـ ٧٠ ـ

كما في حديث (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لاهى إطعمتها وسقتها اذ هى حبستها ، ولاهى تركتها تأكل من خشاش الارض)(٦٣) ، وهو تعالى لايسأل عما يفعل . ولكن أيضا لاينبغى الاعتماد على قاعدة الاستثناء سلبا أو ايجابا لان الغيب لايعلمه إلا الله تعالى ، وليكن أحدنا كما يروى عن احد من السلف حيث قال : لو اخبرت ان واحدا فقط من أهل الارض يدخل النار لخفت ان اكون ذلك الواحد ، ولو اخبرت أن واحدا فقط من أهل الارض يدخل الجنة لرجوت أن اكون ذلك الواحد(٦٤) فالعيش بين الخوف من الله تعالى والرجاء فى رضائه هو الذى ينجى الانسان .. اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا ..

المبحث الثانى

استمرارية التوحيد

سبق وان تبين ان الامة تكاد تكون مجمعة على ان مجرد قول كلمة التوحيد دون العمل والاخلاص واليقين لاينفع صاحبه مع ماذكروا من تأويلات وتقريرات فى اخراج معنى لا اله الا الله ليوافق رأيهم من تفسير مجمل وتقيد مطلق وجمع وغير ذلك ، الا انه لاينكر ان لكلمة التوحيد (لا اله الا الله) وقع فى النفوس أذا خرجت من القلب يهز كيان صاحبها ويسوقه الى الايمان وان كان قد

---

(٦٣) صحيح مسلم جـ٨ ـ باب فضل ازالة الاذى .

(٦٤) هداية المرشدين لعلى محفوظ ـ الطبعة الخامسة ط ١٣٧٠هـ ص٢٢٧ .

اختلط بنوع من المعاصي والذنوب باستثناء المنافقين الذين ختم الله على قلوبهم ...

يقول شارح مختصر العقيدة الطحاوية رحمه الله .

ان لكلمة الايمان التي هي لا اله الا الله محمد رسول الله نورا يؤثر في قلوب المؤمنين بقدر مافي قلوبهم من نور الايمان علما وعملا ، فكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم احرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث أنه ربما وصل الى حال لايصادف شهوة ولا ذنبا الا احرقه ، وهذه حال الصادق في توحيده ، فسماء ايمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق ، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله حرم على النار من قال لا اله ألا الله يبتغي بذلك وجه الله) وقوله (لايدخل النار من قال لا اله الله) .

ان من قام بقلبه التصديق الجازم الذي لايقوى على معارضة شهوة ولاشبهة لاتقع معه معصية ، ولولا ماحصل له من الشهوة والشبهة او احداهما لما عصى ، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بواقعة من المعصية فيغيب عن التصديق والوعيد فيعصى ولهذا ـ والله اعلم ـ(٦٥) قال صلى الله عليه وسلم : (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا وان بقي اصل التصديق في قلبه ثم يعاوده ... وهذا كما ان الانسان يغمض عينيه فلا يرى وان لم يكن اعمى كعمى الكافر ، وجاء هذا المعنى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم : (اذا زنى العبد نزع منه

---

(٦٥) مر ذكر الحديث وتخريجه .

الايمان فاذا تاب اعيد اليه)(٦٦)• ان هذا الكلام يعنى أستمرارية التوحيد أو الايمان عند المؤمن وكأن هذه الاستمرارية هو شرط فى دخول من يقول (لا اله الا الله) الجنة كما يستنتج ذلك من كلام الامام الطحاوى رحمه الله ••• ولذلك شرط الامام النووى فى شرحه لصحيح مسلم هذا القول بعدم الشرك فقال : ان قول لا اله الا الله مفسر بعدم الاشراك فى احاديث اخر بدليل ماروى فى صحيح مسلم عن جابر قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يارسول الله مالموجبتان ؟ فقال : من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار(٦٧) • وعن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من لقى الله لايشرك به شيئا دخل النار) وهذه الاحاديث تدل على استمرارية عدم الشرك (اى التوحيد) فى قلب المؤمن حتى يلقى الله تعالى ولذلك نرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد امر بتعليم الاطفال لا اله الا الله مبدأ حياتهم كما أمر بتلقين المسلم لا اله الا الله عند موته فقال (افتحوا على صبيانكم اول كلمة بلا اله الا الله ولقنوهم عند الموت لا اله الا الله وانه من كان اول كلامه لا اله الا الله ثم عاش الف سنة ماسئل عن ذنب واحد)(٦٨) هذا بشرط ملازمته له والا فالمرتد يقتل فى الاسلام ويدخل النار ان مات على ارتداده ، فالحديث يدل على ان الابتداء بالتوحيد وملازمته للشخص الى الممات يدخله الجنة ، وان انقطع فى فترة من الفترات فلا بد من

---

(٦٦) مختصر شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ فما بعدها • والحديث فى سنن الترمذى بلفظ مختلف •

(٦٧) رواه مسلم •

(٦٨) اخرجه الحاكم فى تاريخه والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس • انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ١ •

التوبة فاذا صادفت التوبة آخر حياته فهو مشمول بقوله صلى الله عليه وسلم : (من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنـة)[٦٩] ، وان استمر على المعاصى مع استمرار الايمان ، فالحكم كما حكم به جمهور العلماء من اهل السنة والجماعة بعقاب العاصـين وثواب المطيعـين حسب مشيئة الله تعالى ... ولا نكران لمن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله فيغفر له ابتداء لحكمة يعلمها هو ولانعلمه نحن كما جاء فى حديث البطاقة او كما يدل عليه ظـاهر الاحاديث التى تخبر بدخول قائل كلمة التوحيد الجنة .

واخيرا نقول انه كما أن هناك ايات متشابهة فان هناك احاديث متشابهة لايجوز اتباعها على ظاهرها دون قيد وشـرط كى لايشملنا قوله تعالى : (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ...) ، آل عمران ـ٧ـ بل نؤمن بها كما وردت ونعمـل على ان نكون مـن أهلها ليشملنا قـوله تعالى فى نفس الآية (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الا اولوا الالباب) .

فمثل هذه الاحاديث يستلزم الايمان بهـا والعمل بهـا ، وانما قالها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نعمل به ونحرص على ان تكون خاتمتنا حسنة ونقول : لا اله الا الله قبل ان نمـوت ولـذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتلقين الموتى عند الاحتضار لعل ذلك الميت ينشمل بقوله صلى الـله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ...

---

(٦٩) مر ذكر الحديث وتخريجه .

المبحث الثالث

البــدء والختام

نظرا لما لكلمة لا اله الا الله من عظمـة وفضل وسر فقد امر الاسلام ببدء حياة الانسان بلا اله الا الله وتختيم حياته بها كذلك • حيث ورد عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم انه قال : (افتحوا على صبيانكم اول كلمة بلا اله الا الله •••)(٧٠) ليكون اول مايطرق سمعه كلمة التوحيد ولذلك سن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم قراءة الاذان فى الاذن اليمنى والاقامة فى الاذن أليسرى للمولود الجديد بعد مرور أول اسبوع من عمره بما روى عن الحسين بن علي رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه وسلم : (من ولد له مولود فاذن فى اذنه اليمنى وأقام فى اذنه اليسرى لم تضره ام الصبيان)(٧١) ومن المعلوم ان (لا أله الا الله) جزء من الاذان والاقامة وهى شهادة (ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) فى كليهما ••• وذلك رجاء ان تنطبع تلك الكلمات فى نفس المولود وعلى قلبه عسى ان تصاحبه فى مسيرة حياته المقبلة فلا تدعه أن يحيد أو يميل عن الصراط المستقيم •••

وكما ان الاسلام جعل مفتاح الحياة كلمة لا اله الا الله جعل مغلاقها أيضا هى كلمة لا اله الا الله وذلك بالامر بتلقين الميت لا اله الا الله لما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى‌الله‌عنه أن رسول

---

(٧٠) انظر طبقات الشافعية للسبكى جـ١ قال اخرجه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس •

(٧١) انظر الاذكار للامام النووى جـ١

الله صلى الله عليه وسلم قال : (لقنوا موتاكم لا اله الا الله)[٧٢] بغية ان يكون اخر كلامه التوحيد لعله يدخل بها الجنة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : (من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة)، وقد يكون الختام بهذه الكلمة هو مفتاح دخول الجنة وايذانا ببدء الحياة فيها لما قيل انه قد كتب على باب الجنة (لا اله الا الله محمد رسول الله) ٠

والتلقين مسنون قد أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم كما مر وذلك إذا كان المحتضر لاينطق بالشهادة نسيانا او غفلة او دهشة فيذكر حينئذ بقول لا اله الا الله ، أما ان كان يقولها بنفسه فلا حاجة الى تلقينه[٧٣] ٠ ويستعمل الرفق واللين فى التلقين خشية ان يضجر المحتضر ، ولايقول له الملقن قل لا اله الا ألله بل يقولها ويكررها عنده مسمعا أياه معرضا له ليفطن لها فيقولها ، فاذا قالها مرة لايعاود التلقين الا اذا تكلم بكلام آخر قبل خروج الروح فيعاود التلقين ليكون آخر كلامه لا اله الا الله ٠

وجمهور العلماء على أنه يقتصر فى التلقين على لفظ (لا اله الا الله) لظاهر الحديث ويرى جماعة انه يلقن الشهادتين أذ أن المقصود تذكر التوحيد وهو يتوقف عليهما ٠

---

(٧٢) نفس المصدر ٠

(٧٣) فقه السنة للسيد سابق جـ١

الكلمة الاخـيرة

اما وقد عرفت ايها المسلم أهمية قـول لا اله الا الله وفائدتها فأحرص على أن تكون هذه الكلمة مصاحبة لك اثناء حياتك عساها أن تكون اخر كلامك فتنشمل بقول الرسول صلى الله عليه وسلم من كان أخر كلامه لا أله الا الله دخل الجنة ٠

ولايغرنك هذا الحديث فتتكل وتقتصر على قول كلمة التوحيد وتترك العمل وتستمر على ذلك حتى اذا فاجأك الموت وانت لاتدرى واذا بك لاتدرك العمل ولا القول فتمـوت على غـير كلمة التوحـيد وعمل أهله ٠٠٠

كما يلاحظ ان بعض الناس يبررون اهمالهم ويتشبثون بانهم مؤمنون وان باطنهم نظيـف وقلوبهم صـافية ويحتـجون بالضـمير والوجدان وماشاكل ذلك فيتركون الاعمال الاسـلامية والواجبات الدينية من صلاة وصيام وصدقة وغـير ذلك من الامـور الاسـلامية المطلوبة ممن ينتمى الى الامة الاسلامية ٠ فاذا سأله سائل اجاب بان قلبه نظيف وهو لايغش ولايخون ولايؤذى الاخرين وما الى ذلك ٠٠٠ فان هذه دعوى باطلة حيث انه مهما بلغ من طهارة النفـس ونظافة السريرة فانه لايبلغ مبلغ الصـحابة فى ذلك وهم مـع ذلك كانـوا يقومون باداء الشعائر والواجبات الـدينية على أتم وجوهها بل ان الرسول صلىاللهعليهوسلم كان له اقصى صفات الكمال البشرية لم يبلغ ولا يبلغ احد حده فى ذلك وهو مع ذلك كان يجهد نفسـه فى العبادة ، وحين سألته عائشة رضىاللهعنها عن كثرة عبادته وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فقال صلىاللهعليهوسلم : (افلا اكون عبدا شكورا) ٠٠٠

ثم ان دعوى طهارة الباطن ونظافة القلب دعوى مجردة عن الدليل معرلة عن الحق يستطيع كل الناس على اختلاف مشاربهم وسلوكهم واعتقاداتهم القول به ، ولو اعطى كل واحد بادعاآته الخالية من الدليل لتغيرت المفاهيم وضاعت المقاييس وما اسهل ان يدعى شخص طهارة الباطن ونظافة القلب فيكسب بذلك ثقة الناس حتى اذا اطمأنوا اليه اكل أموالهم وغشهم وسرقهم وظلمهم وما اسهل أن يدعى شخص طهارة النفس ونظافة القلب فيختلى بامرأة ويفعل بها مايشاء ، وما اسهل ... وما أسهل ...

ليس ادل على الباطن من الظاهر الصحيح حيث نرى ان الله تعالى دائما يرتب الاعمال الصالحة على الايمان كقوله تعالى فى وصف المتقين : (الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاةومما رزقناهم ينفقون) ـ البقرة الاية ١،٢ وكذلك قوله تعالى : (قد افلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى ازواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) ـ المؤمنون من الآية (١ـ٨) ـ وكما مر عن الحسن رضى اللهعنه : (ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ماوقر فى القلوب وصدقته الاعمال) .

فالعمل من صلاة وصيام وزكاة وصدقة والتزام فى التعامل اليومى والابتعاد عن المخالفات الشرعية كل ذلك دليل الايمان فى القلب وطهارة الباطن ونظافتهما ... والا يكون الشخص منافقاً والمنافق فى الدرك الاسفل من النار . ان الضمير والقلب والباطن

حالات غير منضبطة لاتحد بحدود ولا يقام عليها دليل ولا يصعب على اى واحد ادعاءه لذلك لم يربط الاسلام بها الاحكام الشرعية وأنما ربطها بالاعمال والحالات الظاهرة المنضبطة كما مر من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله)(٧٤) أما الباطن فذلك شىء فيما بين العبد وبين الله تعالى ومن السرائر التى لايطلع عليها البشر وهو معنى قوله : (وحسابهم على الله) ... فقد يظهر احد بمظهر النساك العابدين وباطنه لايختلف عن باطن المشرك والكافر ، وقد يكون شخص غير ملتزم بالاعمال والواجبات الاسلامية محتجا بطهارة الباطن والقلب النظيف واحساس الضمير لكنه لو شققت عن قلبه واطلعت على باطنه وجدته اخبث من الشيطان واضر من الميكروب ...

ان المضمور والمبطون من الغيبيات التى لايمكن الاطلاع عليها الا بالامارات الظاهرة لذلك اناط الاسلام الاحكام بالاعمال والصفات الظاهرة وجعل السرائر مرجعها الى الله تعالى حيث هو وحده (عليم بذات الصدور) وهو وحده (يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور). ولذلك نرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبن الحكم على الباطن ومالا يظهر ولذلك لم يحاسب المنافقين فلم يطبق عليهم احكام الكفار من التفريق بينهم وبين ازواجهم وعدم التوارث بينهم وما يشبه ذلك وانما كان يحاسبهم حسب الظاهر ويكل نياتهم وبواطنهم الى الله تعالى مع علمه صلى الله عليه وسلم بنفاقهم وكفرهم .

(٧٤) رواه البخارى عن ابن عمر .

حتى في الحكم بين الخصوم كان صلى الله عليه وسلم يأخذ بدلائل الاثبات الظاهرة من البينات واليمين وما شابهها ويترك المخفى الى الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم : (أنما أنا بشر وأنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فاقضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار ، فليحملها أو ليذرها)(٧٥) ٠

فعلى ذلك نرى ان الذين لايلتزمون باخلاق الاسلام ولايؤدون عباداته وشعائره محتجين بنظافة قلوبهم ويقظة ضمائرهم و٠٠و٠٠ انما يتخذون ذلك ستارا لهم ومجرد وسيلة تبرير لعدم التزامهم بالاسلام ليس الا ٠٠ ثم انهم ان كانوا مسلمين فالاسلام يأمرهم بالاعمال والعبادات الظاهرة اضافة الى طهارة ونظافة الباطن (ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) ـ سورة الشمس الآيات ٨،٩،١٠،١١ ـ فلماذا يعملون ببعض ويتركون البعض الآخر ـ ان صدقوا ـ والاسلام لايقبل الانشطار والتجزئة بل أنه وحدة متكاملة ومتماسكة فاذا تجزأت ذابت شخصيتها واختفت معالمها والله تعالى لايقبل التفرقة بين أحكام الاسلام والاخذ ببعضها دون البعض الاخر كما جاء في قوله تعالى : (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) البقرة ـ الاية ٨٥ ـ ٨ ٠

فاحرص ايها المسلم على ان تأخذ بكلمة لا اله ألا الله بجميع مدلولاتها وجوانبها وتأخذ شموليتها وتحاول استمراريتها في قلبك

---

(٧٥) رواه مسلم ٠

وسلوكك طيلة حياتك ، عسى ان تسوقك تلك الكلمة والعمل وفقها الى رضوان الله وجناته ٠

هذا ما وصل اليه عقلي القاصـــر وعزمي الفاتر للوصــول الى معرفة مقصد الرسول صلى الله عليه وسلم صــاحب البشائر بدخــول موحد الله التواب الغفار الجنة ودار ألنعيم وألقــرأر ، فادعوأ ألله تعالى أن يفقهني في ألدين ويعلمني ألتأويل ويجعلني من أهل لا أله الا الله قولا وعملا وصدقا وسلوكا ، ويتغمدني برحمته ويشملني بفضله وبشفاعة رسوله ومن يأذن له يوم لقــائه ٠٠٠ كما وارجوا من القارىء الكريم ان يدعو لي بما دعوت به ٠٠٠ والا فــان زادي قليل والخطب جليل ٠٠٠ اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا واجعلنا ممن وسعته رحمتك فانك قلت وقولك الــحق ان رحــمتي وسعت كل شيء ٠٠ آمين يارب العالمين ــ واختم هذا بقولي :

لا اله الا الله محمد رسول الله

المصـــادر

ـ حسب الحروف الابجدية ـ

١ ـ البيان فى تصحيح الايمان لابراهيم محمد عبدالباقى المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ الطبعة الثانية ٠

٢ ـ التاج الجامع للاصول فى احـــاديث الرسول صلىاللهعليهوسلم تأليف الشيخ منصور علي ناصف وشرحه غاية المأمول الطبعة الرابعة ١٣٣٥ هـ ـ ١٩٧٥م دار الفكر بيروت ٠

٣ ـ تحفة الاحوذى بشرح جامع التـــرمذى للامام الحـــافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفورى ـ الناشـــر : المكتبة السـلفية فى المدينة المنورة ٠ مراجعة وطبع ـ احمد محمد عثمان ٠

٥ ـ حاشية كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب بشرح عبدالرحمن بن محمد العاصـــمى النجـــدى ت ١٣١٢هـ ، طبعـــة ١٣٩٦هـ الطبعة العاشرا فى المطابع الاهلية بالرياض ٠

٦ ـ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علانالصديقى الشافعى الاشعرى ١٠٥٧هـ مطبعة حجازى بالقاهرة ٠

٧ ـ سنن الترمذى ، تحقيق وتصحيح عبدالرحمن محمـــد عثمان الطبعة الثانيـــة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م دار الفـــكر للطباعـــة والنشر ـ بيروت ٠

٨ ـ شرح المقاصد لسعد بن التفتازانى طبعة عثمانية غير مؤرخة ٠

٩ ـ شرح المواقف للقاضى عضدالدين والمله الايجى وشرحه للسيد شريف الجرجانى ـ دار الطباعة العامرة سنة ١٣١١هـ ٠

١٠ـ شرح الاربعين النـووية للعلامة سـعدالدين مسعود بن عـمر التفتازانى طبع الاقدام ١٣٢٣هـ ٠

١١ـ شرح الامام النووى لصحيح سلم ـ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م ٠

١٢ـ صحيح البخارى للامام أبى عبدالله محـمد بن اسـماعيل بن ابراهيم أبن االمغـيرة بن بردز بـه ألبخـارى الجعفى طبعـة الاوفيست عن دار الطباعة العامرة باستانبول ـ دار الفكر ـ

١٣ـ طبقات الشافعية الكبرى لتاجالدين ابى نصر عبدالوهاب علي بن عبدالكافى السبكى ٧٢٧ـ٧٧١هـ تحقيق محمـود الطناجى وعبدالفتاح الحلو ـ الطبعـة الاولى ١٣٨٣هـ ١٩٦١م مطبعـة عيسى البابى الحلبى وشركائه ٠٠

١٤ـ عقيدة المسلم لمحمد الغزالى ـ الناشر دار الكتاب العربى ـ القاهرة ١٩٥١م ٠

١٥ـ عقيدة الفرقة الناجية للصابونى ومحمـد بن عبدالـوهاب والشوكانى ، اعداد وتقديم عبدالله عجاج نشر شركة السلام العالمية ١٤٠٠هـ ٠

١٦ـ العقائد الاسلامية للصف الرابع الاعـدادى الاسلامى طـبعة ١٩٨١م تاليف لجنة من وزارة التربية ٠

١٧ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى للامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العشقلانى رحمه اللاه تعالى ٠ طبعة المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية على الطبعة الاولى ١٣٠٠ هـ ، طبعة الاوفيست المعادة فى دار المعرفة ـ بيروت ٠

١٨ـ الفهرست الموضوعى لآيات القرآن الكريم ، جمع وترتيب محمد

مصطفى محمد ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م طبعة وزارة الاوقاف العراقية بمطبعة الاديب البغدادية ٠
١٩ـ القرآن الكريم ٠
٢٠ـ مجموعة التوحيد للشيخ عبدالرحمن حسن عبدالوهاب ـ مطبعة المنار ، باشراف السيد محمد رشيد رضا ٠
٢١ـ المحلى لفخر الاندلس ابى محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم ت٤٥٦هـ منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر ٠
٢٢ـ مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى بتحقيق محمد ناصر الدين الالبانى طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتى ـ٣ـ الطبعة الاولى ١٩٦٩م ٠
٢٣ـ مختصر شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن محمد بن محمد بن ابى العز الحنفى الطبعة الاولى ١٣٧١هـ دار النذير ـ بغداد ٠
٢٤ـ المرشد الى ايات القرآن الكريم وكلماته جمع وتنسيق وتدقيق محمد فارس بركات ـ المطبعة الهاشمية ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م ٠
٢٥ـ مسند الامام أبى حنيفة رضى الله عنه طبعة ١٣٢٧هـ شركة المطبوعات العلمية ٠
٢٦ـ نيل الاوطار للامام محمد بن علي الشوكانى ١٢٥٥ هـ دار بيروت ١٩٧٣م ٠
٢٧ـ نوادر الاصول فى معرفة احديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد حكيم الترمذى من علماء القرن الثالث الهجرى ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ٠
٢٨ـ هداية المرشدين لعلي محفوظ الطبعة الخامسة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٢م ٠

المحتـويات

كتب للمؤلف

١ ـ نظرة الى المرأة والرجل فى الاسلام مطبوع
٢ ـ واجب الاباء والامهات تجاه الابناء والبنات مطبوع
ملاحظـة : هذا الكتاب قد نبهنا عليه فى عـقب الكتاب الاول تحت عنوان (ولدك كيف تربيه) الا ان عنـوانه تغـير حين الاعداد للطبع لاسباب ضرورية فصار كما هو منشـور حاليا معلن عنه هنا ٠
٣ ـ كلمات على المنبر مخطوط
٤ ـ من قال لا اله الا الله دخل الجنة ٠ فى يدك
٥ ـ التفكير فى الاسلام مخطوط
٦ ـ سوزى دل باللغة الكردية مخطوط
٧ ـ باوەرى باللغة الكردية مطبوع

الثمن ١٢٥٠

رقم الاجازة ١٥١ تاريخ ١٩٨٨/٢/٦
مطبعة شفيق ـ بغداد